ثانيًا :
شخصيات مجمعية

تأبين

أولاً: تأبين الأستاذ الدكتور

إبراهيم بيومي مدكور

رئيس المجمع

ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

أ ـ تأبينه في المجلس

أقام المجمع حفلاً لتأبين شيخ المجمعيين المغفور له الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئيس مجمع اللغة العربية ورئيس اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية في جلسة علنية عُقِدت بدار المجمع في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢٤ من شعبان سنة ١٤١٦هـ الموافق ١٥ من يناير سنة ١٩٩٦م ، وحضر هذا الحفل الأستاذ الدكتور شوقي ضيف نائب رئيس المجمع.

كما حضره لفيف من رجالات الثقافة والتعليم العالي بمصر والعالم العربي، ولفيف من رجالات الصحافة والإذاعة المرئية والمسموعة، وقد شاركت كلية دار العلوم في هذا الحفل تقديرًا منها للدور العظيم الذي قام به رائد من روادها هو الدكتور إبراهيم مدكور .

وكان منهج الحفل على النحو التالي :

١- كلمة المجمع في تأبين الفقيد للأستاذ الدكتور شوقي ضيف نائب رئيس المجمع.

٢- كلمة أخرى في تأبين الفقيد للأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع .

٣- كلمة الأعضاء العلميين للأستاذ الدكتور محمود مختار عصو المجمع.

٤- مرثية في وداع الفقيد للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن عصو المجمع.

٥- بكائية الضاد " قصيدة " للأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقي عصو المجمع.

٦- كلمة في تأبين الفقيد للأستاذ الدكتور عاطف العراقي أستاذ الفلسفة ، والخبير بالمجمع .

٧- كلمة كلية دار العلوم للأستاذ الدكتور حامد طاهر عميد كلية دار العلوم ، والخبير بالمجمع .

٨- إبراهيم مدكور والفلسفة للأستاذة الدكتورة زينب محمود الخضيري أستاذة الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة .

٩- راهب الفصحى سلامًا . لا وداعًا قصيدة للأستاذ الدكتور عفيفي محمود عفيفي الخبير بالمجمع.

١٠- كلمة الأسرة للأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق إبراهيم مدكور.

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف نائب رئيس المجمع
في تأبين المرحوم رئيس المجمع الراحل

الزملاء الأجلاء ، السيدات والسادة:

إنه ليشق علىَّ أن أقف اليوم لأؤبِّن شيخ المجمعيين في مصر والعالم العربي المغفور له الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور، الذي كان عزَّ رياسة مجمعنا ومنارها، بأصالة رأيه وحصافة عقله ورجاحة فكره . وإن قلوبنا جميعا لتكتظ بمشاعر الحزن، وإن نفوسنا لتمتلئ التياعًا وأسى، غير أن تلك سنة الحياة ، فكل حيٍّ إلى فناء وكل حي يموت في يوم معلوم بقدر محتوم واقع ، ليس له من دافع ، وهل نحن إلا ودائع في هذه الدار الفانية ، ولابد يوما أن تُرد الودائع .

وقد كان الدكتور مدكور شخصية فذة ، فهو مصلح اجتماعي وسياسي ، وهو كاتب ولغوي ومتفلسف ومفكر عربي أصيل ، عاش في مرحلة مهمة من مراحل نهضتنا الحديثة كانت تموج بطائفة من الدعوات : دعوات للإصلاح السياسي والاجتماعي ، ودعوات للانبعاث الفكري والتطور الحضاري ، ودعوات للنهوض بالعربية حتى تستطيع الوفاء بمطالب العلوم والفنون الغربية . وكل تلك الدعوات أسهم فيها بمواهبه العقلية النادرة .

وُلِد الدكتور إبراهيم بيومي مدكور في فجر هذا القرن بأسرة كريمة في أبي النمرس بالقرب من أهرامات الجيرة ، وعني به والده ، فألحقه بمدرسة أولية حفظ فيها القرآن الكريم،ثم ألحقه بالأزهر وتعليمه الديني، والتحق بمدرسة القضاء الشرعي ، وأتم قسمها الأول ، ودخل بعده دار العلوم وتخرج فيها بين طلابها المتفوقين سنة ١٩٢٧م وعمل سنة بإحدى مدارس القاهرة، واختير لبعثة حكومية إلى إنجلترا ، ووقفت في طريقه الخلافات السياسية ومنعته منها،وصمَّم على أن يضم إلى ثقافته العربية زاداً أو أزواداً من الثقافة الغربية فاستقال ، واختار فرنسا ورحل إليها - على نفقته - في أوائل سنة ١٩٢٩م . ودار العام الأول فضُمَّ إلى بعثة الحكومة المصرية دون عائق ، والتحق بجامعة السوربون وأكب على محاضرات الأدباء والمفكرين

فيها والمستشرقين و لم يلبث أن حصل من تلك الجامعة على ليسانس الآداب سنة ١٩٣١م ، وبعد سنتين حصل على ليسانس الحقوق ، وفي نهاية سنة ١٩٣٤م حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السربون .

وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٥م فانضم إلى قسم الفلسفة بكلية الآداب في جامعة القاهرة مع الانتداب للتدريس في بعض الكليات الأزهرية ، ومضى يحاضر الطلاب بالجامعتين في المواد الفلسفية والاجتماعية المختلفة . وفي سنة ١٩٣٧م رأى أن يقوم بدور في الخدمة العامة للأمة فاختير عضوا بمجلس الشيوخ واضطر إلى الاستقالة من كلية الآداب استجابة لمبدأ عدم الجمع بين الوظيفة في الجامعة وعضوية البرلمان . وقضى في مجلس الشيوخ خمس عشرة سنة كان فيها صوتا باررا مسموعا يناقش المشروعات والاعتمادات التي تعرض في المجلس مناقشة جريئة مخلصة ، وينقد نظم الحكم ، وينادي بإصلاح الأداة الحكومية ويهاجم الظلم والطغيان ، ويدعو إلى تحديد الملكية الزراعية ، وتبنى استجواب السياسيين في قضية الأسلحة الفاسدة الذي كان إرهاصا للثورة سنة ١٩٥٢م وحاولت الثورة أن تستعين به فعينته في مجلس الإنتاج سنين عدة .

وكان من حظ مجمع اللغة العربية في سنة ١٩٤٦م أن اختير الدكتور إبراهيم بيومي مدكور لعضوية المجمع بين عشرة من أعضائه العاملين السابقين ، سماهم المرحوم الأستاذ أحمد أمين " العشرة الطيبة " في استقباله لهم باسم المجمع ، ورد عليه باسمهم الدكتور مدكور بكلمة تحدث فيها عن " اللغة المثالية " . ومنذ ذلك التاريخ تابع نشاطه العظيم في المجمع، وتقديرا من زملائه المجمعيين اختاروه سنة ١٩٥٩م كاتب سر المجمع، وبعد سنتين انتخبوه أمينا عاما له . وطوال أمانته كان يلقي في افتتاح مؤتمر المجمع السنوي كلمة عن نشاط المجمع العلمي طوال العام . ومنذ اختياره سنة ١٩٧٤م رئيسا للمجمع كان يفتتح مؤتمراته بكلمة عن الموضوع المطروح فيه للمناقشة ، مع الترحيب بالضيوف الوافدين عليه،وخاصة من البلدان العربية.

وكان الدكتور مدكور طوال أمانته للمجمع ورياسته يدفع عجلة العمل فيه دفعا متصلا محكما إدارته أدق إحكام ،

كما أحكم العمل المجمعي العلمي إحكاما رائعا ، وهو إحكام يتبين بوضوح في وفرة إنتاجه ، إذ نشر المجمع ثلاثة معاجم لغوية: معجما كبيرا تتعاقب أجزاؤه، ومعجما وسيطا في مجلديس، ومعجما وجيزا ، ويتقدمها جميعا معجم نفيس للقرآن الكريم في مجلدين . وعمل الدكتور مدكور منذ أوائل أمانته على نشر مجموعات المصطلحات العلمية والفنية التي ينتجها المجمع سنويا وبلغت حتى الآن ستا وثلاثين مجموعة . وطوال رياسته صدرت للجان المجمع معاجمها العلمية حتى بلغت ثلاثة عشر معجما علميا ، ولم يبق في الجامعات علم يدرس إلا وصدر فيه معجم قيم ، وهي ذخيرة لغوية كبيرة تعد إعدادا سديدا لتعريب التعليم الجامعي ولتصبح العربية لغة علمية عالمية . ودفع الدكتور مدكور المجمع إلى نشر كنور من التراث اللغوي لم يسبق نشرها؛ للانتفاع بها في معاجمه الحديثة ، من ذلك ديوان الأدب للفارابي، والتكملة والذيل والصلة للصاغاني، والأفعال للسرقسطي، والتنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح لابن بري .

وللدكتور مدكور كتابان عن المجمع : أولهما:"مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما: ماضيه وحاضره" ، أرخ فيه للمجمع من الناحيتين العلمية والفنية ، وثانيهما:" مع الخالدين" وهو في ثلاثة فصول : يدور أولها حول المجامع اللغوية عامة والمجامع العربية خاصة، ويدور ثانيها في استقبال عدد غير قليل من المجمعيين جماعات ووحدانًا ، كما يدور ثالثها في وداع طائفة كبيرة من المجمعيين مع التنويه بهم والإشادة بما كان لهم من أعمال قيمة . والكتاب يحمل وفاء كريمًا من الدكتور مدكور لصفوة من زملائه المجمعيين . وله تصدير لكتاب تذكاري للدكتور عثمان أمين ،وعددان في سلسلة اقرأ، في أولهما بعض محاضراته المجمعية ، وفي الثاني ذكريات وآراء في الحياة الجامعية والنيابية والثقافية .

ودائما كان الدكتور مدكور يغذّي دورات المجمع ومجلته ببحوث قيمة ، نذكر منها نشأة المصطلحات الفلسفية في الإسلام - منطق أرسطو والنحو العربي - عالمية اللغة العربية - لغة العلم - حق العلماء في التصرف باللغة . وعلى نحو ما كان يبذل من جهود خصبة في المجمع كان يبذل جهودا متصلة في اتحاد المجامع

اللعوية العلمية العربية الدي تكوَّن من مجامع القاهرة ودمشق وبغداد بِأَخَرَةٍ من رياسة الدكتور طه حسين للمحمع ، وتحولت إليه رياسة المجمع والاتحاد بعده . ونهض بالاتحاد وانضم إليه المجمع اللغوي الأردني ، ثم مجمعا السودان وفلسطين ، وتمت للاتحاد في عهده سبع ندوات، نوقش في بعضها تيسير تعليم العربية وتعريب التعليم العالي والجامعي ، ووضعت فيهما توصيات مهمة ، وعُرِضت في بعض الندوات معاجم علمية لمجمع القاهرة ونوقشت مناقشة علمية ووحِّدت في إحدى الندوات الرموز العلمية في الرياضيات والكيمياء والفيزيقا .

وكان الدكتور مدكور يدعو إلى الانفتاح على الثقافة الغربية ، مما جعله يراجع ترجمة الدكتور محمد غلاب لكتاب الفكر الأوربي في القرن الثامن عشر، ولكتاب المشكلة الأحلاقية والفكر المعاصر ، وأشرف في لجنة على ترجمة القسم الأول من تاريخ العلم لسارتر . ومن أعماله مشاركته في الإشراف على الموسوعة العربية الميسرة ، وتصديره للجزء الأول من معجم أعلام الفكر الإنساني . واشترك في الذكرى الألفية لابن سينا في بعداد سنة ١٩٥١م، وطهران وباريس سنة ١٩٥٤م ومِهرجان العزالي بدمشق، وابن خلدون في القلهرة سنة ١٩٦٢م، وذكرى طه حسين بالقاهرة سنة ١٩٧٩م، وحافظ وشوقي سنة ١٩٨٢م، وماسينيون بالقاهرة سنة ١٩٨٣م، ونال مبكرًا جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية . ومنحته جامعة أمريكية الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٦٤م؛ تقديرًا لخدماته العلمية ونشاطه في التبادل الثقافي بين العرب والغرب، ونال جائزة من اليونسكو؛ تقديرًا لمكانته. ومنذ أربع سنوات أهدى مكتبته الخاصة إلى مكتبة المجمع ، وشعلت بها غرفة . وبجانب إخلاده إلى صومعة المجمع اللغوي القاهريّ ومحرابه كان يعنى بالفلسفة الإسلامية وأعلامها وبحوثها. وكان قد نشر مع الأستاذ يوسف كرم سنة ١٩٤٦م دروسًا في تاريخ الفلسفة لتلاميذ السنة التوجيهية من عصر اليونان إلى العصر الحديث ، وفَرَّع سريعًا لأعلام الفلسفة الإسلاميين. فتارة يشترك في كتب تذكارية لثلاثة من أفدادهم ، وهم: الفارابي، وله في كتابه بحث عن

المصطلح الفلسفي، والسهروردي، وله في كتابه بحث مقارن بينه وبين ابن سينا ، وابن عربي، وله في كتابه بحث مقارن بينه وبين اسبينوزا في وحدة الوجود . وتلرة ثانية كان يعني بتقديم ومراجعة تحقيق أعمال كبرى من التراث الفلسفي الإسلامي ، من ذلك ثمانية أجزاء من موسوعة الشفاء لابن سينا هي : المدخل - المقولات- الإلهيات - البرهان - الجدل - السفسطة - الخطابة . وسعة أجزاء من كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ، وثلاثة أجزاء من كتاب الفتوحات المكية لابن عربي وكتاب الكليات في الطب لابن رشد ؛

وأشرف الدكتور مدكور على إخراج المعجم الفلسفي للمجمع مشاركا فيه وهو كنز فريد ، وكان ما يبي ينشر عملاً أو بحثًا كبيرًا متصلاً بالفلسفة الإسلامية ، من ذلك نشره كتابًا في الأخلاق والاجتماع ، وهو يبحثهما في بابين بحثًا تفصيليًّا بديعًا ، ونشر في كتاب" أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية" فصلاً طويلاً رائعًا عن الفلسفة الإسلامية صوَّر فيه خصائصها وأنها فلسفة دينية عقلية، كما صوَّر أثرها في الغرب. وأهم مباحثه الفلسفية مبحثه : "في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق " وهو في جزأين . وفي أوائل الجزء الأول يردُّ بقوة على من يعصون من العربيين من الفلسفة الإسلامية وفلاسفتها ، ويضع لدراستها منهجا يعتمد على فرعين : فرع تاريخي يدرس نصوصها وأصولها، وفرع مقارن يقابل بين الأشخاص والآراء ، ويذكر أن موضوعاتها تتناول نظرية الوجود والحكمة النظرية والعملية، وتمتدُّ إلى أبواب الثقافة الإسلامية ، ويبين صلتها بالفلسفة اليونانية ومنزلتها من الفلسفة المسيحية وربطها بالفلسفة الحديثة ، ويرى أن دراسات المستشرقين لها لا تزال غير وافية. ويدرس في هذا الجزء ثلاث نظريات : نظرية السعادة وما يتصل بها من التصوف عند فلاسفة المسلمين والمتكلمين وأثرها في المدارس الغربية ، ونظرية النبوة وانتقالها إلى التفكير المسيحي واليهودي وامتدادها إلى التاريخ الحديث عربًا وشرقًا، ونظرية النفس عند ابن سينا والفلاسفة الإسلاميين . وفي الجزء الثاني يضم الدكتور مدكور إلى بيئتي الفلسفة والتصوف بيئة المتكلمين ،

ويفصل القـــول في الســـلفيين وفِـــرَق المتكلمين من معتزلة وأشاعرة وماتريديـــة وشيعة ، كما يفصل القول عن المتصوفـــة والفلاسفة الإسلاميين، ويناقش نظريـــــة حرية الإرادة في الفكر الإسلامي وعنـــد الفرق الإسلامية ويمتد بها إلى الشيخ محمد عبده، ويترجم للكبـــار مـــن فلاســـفة الإسلام : الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد . ويختم الجزء ببيان حصـــائص الفلسفة الإسلامية وانتقالها إلى الغـــــرب وأثرها فيه .

وواضح أن الدكتور مدكور وضـــع للفلسفة الإسلامية في الجزأيـــن منـــهجًا جديدًا ، وطبَّقه بعقله الثـــاقب تطبيقـــا سديدًا ، وقد ضم إلى مباحث الفلسفة الإسلامية مبـــاحث فـــرق المتكلمـــين ومذاهبهم الكلامية، ومبحـــث انتقـــال الفلسفة الإسلامية إلى الغرب في النهضـــة الأوربية وأثرها فيه .

أيها السادة

هذه لمحات موجزة من ســـيرة الأســـتاذ الكبير الدكتور إبراهيم مدكور، وإنهـــا لسيرة مجيدة، ومثلها أعماله وآثاره القيمة التي سيظل الباحثون يدرسونها ويحللونهـــا ويستخرجون ما فيها من بديـــع الآراء والأفكار .

رحمه الله رحمة واســـعة ، وتقبلـــه أحسن القبول، وأنزله في الجنة منـــازل الأبرار العاملين المخلصين .

شوقي ضيف

نائب رئيس المجمع

كلمة أخرى للمجمع في تأبين الفقيد

للأستاذ إبراهيم التراري الأمين العام للمجمع

الأستاذ الجليل نائب الرئيس:

الأساتذة الزملاء الأحلاَّء :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد.

فقد شَرَّف الله تعالى الإنسان باستخلافه في الأرض .

وأداءُ حق هذه الخلافة أن يصنع الإنسان على الأرض خير حياة ولكنَّ صُنّاع الحياة قليل !

بل صارت الحياة هي التي تصنع أكثر الناس !

وكم أُرِيقت أحبار كالبحار،في كتابة بحوث ضافية عن شخصيات صنعتْها طروفُها وبيئاتها:الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية ، والسياسية ، والطبيعية ، أو كان لهذه الظروف والبيئات أثر في هذه الشخصيات من قريب أو بعيد .

وهذا كله حقٌّ لا ريب فيه .

ولكن صُنَّاع الحياة لا تسيطر عليهم هذه المؤثرات وتستعرقهم ، بل يسيطرون هم عليها ويستعرقوها؛ بما لديهم من قدرات خلاّقة تستوعب الحياة ؛ لتخرجها للناس خَلقًا آخر سويًّا وضيًّا ، بما تُسطِّره أقلامُهم،وتنطق به ألسنتهم، وبما يعبِّر عنه سلوكهم حين يتعاملون،ويصرِّفون شؤون الحياة؛ فإذا هم في المجتمع مُثُلٌ عليا ، وإذا حياتهم قدوة للناس ، عليهم أن يحتذوها، ويتابعوها ؛ ليكونوا مثلهم صُنَّاع حياة !

وكم حُبِّرتْ كذلك أسفار في سيطرة الغرائز الكامنة في نفوس الناس ، والمهيمنة على عقولهم ، والمتغلغلة في كل ذرَّة من جسومهم ، وكل قطرة من دمائهم . وظهرتْ في هذه الدراسات النفسية مذاهب وآراء ، أخذت تتحاور، وتتصارع ، ولن يهدأ بينها تحاور ، ولن يخبو لها صراع !

وكثير من هذه الدراسات النفسية أيضًا حقٌّ لا ريب فيه .

ولكن صُنَّاع الحياة لا تستولي عليهم غرائزُهم ؛ فهم لا يخضعون لها ، بل يَستعْلُون بها ، وهم لا يدعونها تقودهم ، بل يجعلون رمامها في أيديهم ؛ فإذا هم كذلك قدوة للناس ، حين يجعلون سلوك غرائزهم نبيلاً جميلا ؛ فكم من قيم نبيلة جميلة أُرهقتْ على مذبح الشهوات والأهواء !

هكذا يكون صُنَّاع الحيـــاة ، رادةً وقادةً ، يعقد لهم لواء الســـلطان بـــين الناس ؛ فإذا كان من يَحكـــم النـــاسَ ويسيطر عليهم سلطانًا فأحقُّ منه بـــأن يكون سلطانًا من يَحكم غرائزه العصيَّـــة العاتية ، ويسيطر على مـــا يتحكـــم في حياته من ظروف وأحوال ، وأحـــداث جسام !

ولهذا عُدَّ جهاد النفس وجهاد الحياة جهاداً أكبر من الجهاد في حَوْمات الوغى والقتال !

هؤلاء المجاهدون الخلاّقون هم صُنَّاع الحياة .

ولقد كـــان إبراهيـــم مدكـــور في الطليعة من صناع الحياة !

فطرةٌ فُطِر عليها ، غذّاها ونمّاها بمـــا منحه الله تعالى من ملكات وقـــدرات ، وعزمٍ وحزمٍ وحسمٍ ، وموهبة بـــاهرة في الإعداد والتنظيم ، واقتدار فَذٍّ في القيـــادة والتوجيه.

لم يستسلم الشاب إبراهيم مدكـــور لعسف السياسة القاهرة الباطشة ، حـــين حَرَمَتْه بعثتَه العلميةَ إلى " لندن " ، بعـــد تخرجه في دار العلوم ، وطَوَّحتْ بـــه إلى أقصى الصَعيـــد ، مدرسًـــا في إحـــدى مدارس " إدفو" الابتدائية ؛ فقد انطلـــق إبراهيم الشابُّ كالشهاب إلى مدينة النور " باريس " ؛ ليلتحق بجامعتها العريقـــة "السوربون " ، على نفقته الخاصة !

وأمام إرادته الغلاّبة تطامَنَتْ قـــوى السياسة الباطشة ؛ فردّت له حقَّه علـــى الدولة في بعثته العلمية ، فكانت السياسة معه كالوَعْل الذي صوَّره شاعرنا العـــربيُّ " الأعشى " بقوله :

كَنَاطِحٍ صَخرةً يومًا لِيَفْلِقَها
فَلَمْ يَضِرْهَا ، وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعْلُ

وفي سنة خمس وثلاثين - بعد ســـتة أعوام من بعثته - عاد إبراهيم مدكور إلى مصر مُظَفَّرًا بأعلى الدرجات العلميـــة : درجة دكتوراه الدولة في الفلسفة ، فعمل مدرسًا في كلية الآداب ، بجامعة فـــؤاد الأول .

والشأن فيمن يحصل علـــى أعلـــى الدرجات العلمية الجامعية أن تكون غايته التدريس في الجامعة ، والدرس الجـــامعي من أعظم الأعمال قدرا ، وأرفعها شأنا . ولكن إبراهيم مدكور له غايات أخـــرى يتغيَّاها ؛ فإذا كان الفلاسفة القدامى قـــد كتبوا في شؤون الدولة والحكم والسياسة، كأفلاطون، وأرسطو ، والفارابي، وابـــن

حلدون ، فإن إبراهيم مدكور - صانع الحياة - رأى أن يجعل للرأي شرفَ التحقيق ، وللكلمة شرفَ التطبيق ؛ فاتجه إلى ممارسة السياسة العملية في ذروتها ، حيث تبوأ مكانه في السلطة التشريعية ، التي تهيمن على الحكم ، وتُشرِّع لأمور الدولة وسياستها ، وهي السلطة البرلمانية متمثلة في مجلسي : النواب والشيوخ ، فكان إبراهيم مدكور ، وهو في الخامسة والثلاثين ، عضوا في مجلس الشيوخ ، حيث جعل مقعده في هذا المجلس مِنبرًا للدعوة إلى آرائه في إصلاح أجهزة الدولة، وتطهيرها من عفن الأهواء، وجعلها تستقيم على شريعة من النزاهة والعدل، وكفاءة الأداء ، وسداد الخُطى ؛ لبلوغ أهداف الأمة في الإصلاح والتقدم والرخاء .

وسرعان ما سطع نجم إبراهيم مدكور بين شيوخ الأمة في مجلسهم التشريعي ، فحيثما يحلُّ إبراهيم مدكور يتحلَّى نبوغُه ، ويصبح ملء السمع والبصر ، محاطًا بهالة من إعجاب يتصاعد حتى يصبح عَجبًا عُجابًا !

ولعلَّ أكثر ما يثير ذلك العجب العجاب أن يختار مجلس الشيوخ أستاذ الفلسفة مقررًا للجنة المالية ، التي تخطِّط ، وتتابع كل الشؤون المالية للدولة ، في إطار موازنتها العامة !

أخذ إبراهيم مدكور يُفَلْسِفُ المالَ ؛ فجعل المال ذا فكر إصلاحيٍّ لنهضة اجتماعية ، واقتصادية ، وتعليمية ، وصحية ، وإدارية ، تدفع بمصر إلى طليعة الدول المتحضرة .

ولقد عَهِدنا صوتَ الفلسفة هادئًا حفيضًا متأنيًا ؛ لأنه صوت الفكر المتأمل في صومعة الحكمة ، ولقد كان كذلك فيلسوفنا إبراهيم مدكور ، ولكن الأحداث حين تُدمدِم ببغي وفتنة نراه يدع صومعته ، ويخلع عباءة الفيلسوف ، ويبدو في هيئة مقاتل جسور ، يُجلجل صوتُه فيُزلزل أركان الطغاة ، ولو كان على رأسهم ملكُ البلاد ، وحاشيتُه المستبدة ذات الحول والطول . ولقد صمد إبراهيم مدكور في مواجهة الحرب التي شُنَّت عليه سرًّا وعلانية ؛ فقد كانت عينُ الغضب الملكية تُلاحقه هنا وهناك ، حتى لا يحظى بما يُتاح له من مركز مرموق ، ولا يفيء إلى أمن وسلام ، وبخاصة بعد أن تبنَّى استجوابَ السياسيِّ القانونيِّ العملاق " مصطفى مرعي "

عضو المجمع الراحل ، بشأن الأسلحة الفاسدة ، الذي كان من أقوى بواعث ثورة الجيش عام اثنين وخمسين !

أيها السادة :

يعد إبراهيم مدكور من أصغر الأعضاء العاملين الذين دخلوا المجمع ؛ فقد صدر مرسوم عام ستة وأربعين بتعيينه عضوا مع تسعة أعضاء آخرين ؛ ليبلغ بهم عدد أعضاء المجمع أربعين عضوا،أسوة بأعضاء الأكاديمية الفرنسية.

كان إبراهيم مدكور في الرابعة والأربعين ، وقد أنابه زملاؤه الشيوخ في الردّ باسمهم على كلمة مستقبِلِهم " أحمد أمين " ، الذي داعبهم بتسميتهم "العشرة الطيبة ".

وسرعان ما لمع إبراهيم مدكور بين هؤلاء الشيوخ العلماء الأعلام ، وهو مازال في زهرة كهولته ، وبعث في صومعتهم المجمعية حرارة ونشاطًا : في لجان المجمع ، ومجلسه ، ومؤتمره ، وفيما يُدعَى إليه المجمع من ندوات ومؤتمرات، عربية ودولية .

وكما عهدنا في إبراهيم مدكور أن يحتل دائما مكان الصدارة في أي مكان يحل فيه - اختير أمينًا عامًّا للمجمع عام تسعة وخمسين ، خلفًا للدكتور منصور فهمي ، أول أمين عام له وكان يسمَّى "كاتب سر المجمع ".

وقد بدأ المجمع عهدًا جديدًا منذ ذلك التاريخ ؛ فقد آثره إبراهيم مدكور بكل اهتمامه وجهده ، فسحب كل أنشطته خارج المجمع لتتجمع كلها في البؤرة المجمعية ، حيث تنطلق بالنور والحرارة والحركة !

ومع الأيام ، صارت دار المجمع داره؛ يمضي فيها أكثر وقته ، وينعم لديها بالسكينة والسعادة . ولم يَعُد المجمع ظاهرًا من القول والعلم ؛ فقد تغلغل في أعماق نفسه ، وجرى مجرى الدم في عروقه ، حتى صار نبضَ قلبه ، وخاطرَ فكره ، وأنفاسَ حياته ، وقرَّة عينه ، ومناط أمله ، وغاية دنياه ، بل وسيلته إلى أُخراه ؛ فهو سادن لغة اصطفاها الله؛ لتكون لغة كتابه المبين ، والمعجزة الخالدة لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى العالمين !

ولقد ازدهر النشاط المجمعي في عهد إبراهيم مدكور ، وانتظم صدورُ مطبوعاته الدورية ، وتضاعفت معجماته اللغوية والعلمية ، كما صدرت تحقيقات لنفائس تراثنا اللغوي ، وأخذ المجمع في

مؤتمره السنوي يعالج الكثير من قضايـــا اللغة والعلم والأدب ، كما ازدهر نشاط اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، الذي رأسه أكثر من عشرين عاما ؛ فعُقِـــدت ندوات عديدة في عواصم عربية بالمشرق والمغرب .

وهكذا صار إبراهيم مدكور عميـــدَ المجمعيين العرب ، وشيخهم وإمامهم .

أيها السادة :

لقد حَظِيتُ بالقرب مـــن إبراهيـــم مدكور ، بل كنت أقربَ المجمعيين إليه ، منذ شرَّفني بالعمل معه ، فتفيَّأتُ ظـــلال دوحته المجمعية أكثر من ثلاثين عـــامًا ، كان لي فيها نعم الأبُ والمعلم ، أســـبغ عليَّ من ذات نفســـه حُبًّـــا ورعايـــة ، ومنحني من خبرته المجمعية الكثير الكثير . وأشهدُ ما كنا نختلف إلاَّ لنأتلف ؛ فلـــم يكن اختلافنا اختلاف تعـــارض ، بـــل اختلاف تكامل ، ينتهي دائما إلى اتفاق!

وكم كان يُوصيني - بعـــد انتخـــابي أمينًا عامًّا للمجمع - أن أشُدَّ قبضـــتي في الحفاظ على تقاليد المجمع وأعرافه ؛ ليظل في مكانته من المهابة والإجلال ، وتتدفق أنهُر لجانِـــه بالمصطلحـــات والقـــرارات العلمية واللغوية والأدبية والفنية . ولقـــد كان عظيم الإيصاء لي بالمعجم الكبـــير ، الذي ظل مقررًا للجنته أكثر من اثنـــين وعشرين عامًا ، ثم شرفني-مـــع لجنـــة المعجم الكبير باختياري مقررًا لهذه اللجنة .

لقد كان إبراهيم مدكـــور حـــتى أحريات حياته ، بعد اعتكافه في بيته ، لا يشغله شيء سوى المجمع ، وحين كنـــت أزوره في معتكفه لم يكن لنا حديـــث إلا عن المجمع ، وكان الحديث يدور بيننـــا كالمناجاة ، وبخاصة حين يُردِّد مؤكِّـــدًا وصاياه ؛ حتى يطمئنَّ إلى أنها أحـــذت تسري في دمي،وصارت جزءًا من نفسي وفكري ، وغاية الغايات لحياتي !

والحديث عن صلتي به طوال ثلـــث قرن من الزمان يحتاج إلى أسفار وأسفار!

أيها السادة :

كان إبراهيم مدكور رحلَ الذُّرَى ؛ أهَّلَتْه ملكاتُه وقدراتُه لأن يعتلي القمـــة حيثما يكون . وأصحاب القمم أوســـع الناس أفقًا ، وأشملهم رؤية ؛ لأن الآفـــاق تَنْداح وتتسع مع كل ارتفاع ، وتـــزداد الرؤية بذلك أبعادًا وشمولا . ولهذا نـــرى أصحاب الذُّرَى أقـــدر النـــاس علـــى اكتشاف ما يدور هنا وهناك ، وبدلـــك صاروا أقدر الناس على الإصلاح . ومـــا

نجح داعيةُ إصلاحٍ فكري ، أو اجتماعي، أو سياسي ، ينغلق على مذهب من المذاهب ؛ لأنه بذلك يحبس نفسه في فَجٍّ من فِجاج المذاهبِ والآراء !

واعتناق المذهب يبدأ اختيارا ، ثم لا يلبث أن يصبح إسارا ؛ فصاحب المذهب لا يرى الصوابَ في سواه ، وهو مُتَوفِّز مُتَحَفِّز دائما للدفاع عنه ، والجدال فيه ، وقد يُنفق الكثير من عمره وجُهده في مدافعة خصومه عن حِماه !

ولقد كان إبراهيم مدكور - صانعُ الحياة - من عمالقة الإصلاح ، فلم ينغلق على مذهب ، ولم يتشيَّع لفلسفة أو فيلسوف؛ولهذا شُغِل بوضع المنهج الفلسفي وتطبيقه،وكتب في الأخلاق، وعالج أدواء المجتمع،وطَبَّ لها طِبَّ النِّطاسِيِّ الخبير ؛ فإبراهيم مدكور - صانعُ الحياة - لا يتوقف عند الفكر المجرد، بل ينفخ فيه من روحه حياةً تجعله يتحرك ، ويُحرِّك .

وكما وضع المنهج وقام بالتطبيق كتب في إصلاح أداة الحكم ؛ فالصلاح لديه يتحوَّل إلى إصلاح ، والحكمة إلى حُكم، والحقيقة إلى حقٍّ ، والعلم إلى عمل ، وكم يكشف تبادلُ هذه الأحرف الثلاثة للعلم والعمل عن سرٍّ عبقريٍّ من أسرار لغتنا الخالدة !

وفي ختام كلمتي عن إبراهيم مدكور أقول مع شاعرنا العربي الحكيم "الشريف الرضي " وهو يُودِّع بعض مَن رحلوا عن الدنيا من كرام الناس :

معشرٌ إن غابت الأرضُ بهم
لم يَغِيبوا عند مجدٍ وفعالِ
لا تقل : تلك قبورٌ .. إنما
هي أصدافٌ على غُرٍّ لآل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إبراهيم الترزي

الأمين العام لمجمع اللغة العربية

كلمة العلميين في حفل تأبين فقيد المجمع

المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور

للأستاذ الدكتور محمود مختار عضو المجمع

السيد الأستاذ الدكتور شـــوقي ضيـــف

نائب رئيس المجمع :

السادة الزملاء أعضاء المجمع :

سيداتي وسادتي :

رحل رافع لواء اللغـــة العربيـــة في مصر، رحـــل رائـــد علـــوم الفلســـفة والاجتماع في الوطن العـــربي المرحـــوم الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور . رحل عن هذه الدنيا ليلقى ربه الكريم وينعـــم برضوانه . رحل بجسمه ، أما اسمه فقـــد دخل سجل الخالدين من أوسع أبوابـــه . وسوف يظل فيه نبعًا للعلم ومنارًا للفكر، متوجًا بجلال الدين القويم والخلق الحميد. وسوف تزخر بذكراه صفحات التاريخ ، وتنهل من علمه الأجيال من أهل اللغـــة العربية وآدابها وعلومها .

هذه الشـــخصية العلميـــة الفـــذة للدكتور إبراهيم مدكور قد تأسســـت وتأصّلت علي عراقة الأزهـــر الشـــريف والقضاء الشرعي، ودار العلوم، وجامعـــة القاهرة ، وكلها معاقل للعلـــم والديـــن والأدب والعلوم الإسلامية والإنسانية ، ثم تكاملت وتجاوبت مع آداب العـــرب وفلسفته في جامعات السوربون وباريس وبرنستون ، هذه الحصيلـــة المتمـــيزة في العلم والأدب قد أنبتت هذه الشـــخصية المتميزة للدكتور إبراهيم مدكور ، وأهّلته لتولي مناصب رفيعة في الدولة وخاصة في الشؤون الوطنية والاجتماعية والسياسية ، التي اضطلع بها بعزيمة قوية وإيمان راسخ . واستهلّها بالمشاركة في الثورة الوطنية عام ١٩١٩م لطرد المستعمر الأجنـــبي مـــن أرض الوطن ، وكـــان نصيبـــه منـــها الاعتقال والسجن . ثم انتخب عضـــوًا بمجلس الشيوخ، وظل به خمسة عشـــر عامًا عُيّن بعدهـــا وزيـــرًا للخدمـــات والإنتاج . كما اختير عضوًا مؤسّسًـــا في عدد كبير من الهيئات والجمعيات الثقافية والأدبية، ورئيسًا لمؤتمراتها وندواتها . ومن أبرز أعماله المشاركة في إحياء ذكـــرى عدد من الرواد العرب في مقدمتهم ابـــن سينا ، وقد حقق وأخرج لـــه كتـــاب "الشفاء"ثم الغزالي،وابن خلدون،وشوقي، وحافظ، وطه حسين ،وغيرهم كثيرون .

وحظي مجمع اللغة العربية بانضمام الدكتور إبراهيم مدكور عضوًا عاملاً به عام ١٩٤٦م أي منذ نصف قرن ، وكان واحدًا ممن أطلق عليهم اسم العشرة الطيبة . وحمل أمانة المجمع لعدة سنوات، ثم تولى بعدها رئاسته عام ١٩٧٤م خلفًا للدكتور طه حسين .

ولا يتسع هذا الحفل الكريم مهما امتد وطال لإيفاء هذه الشخصية العلمية الموسوعية للدكتور إبراهيم مدكور حقها من التقدير ، الذي استحق من أجله أعلى أوسمة الدولة التقديرية والعلمية؛فقد منحته جامعة برنستون شهادة الدكتوراه الفخرية ،وجامعة السوربون شهادة الدكتوراه العلمية .

أما إنجازاته وأنشطته داخل المجمع وخارجه فيفيض بها أي حديث عنها مهما طال ، وقد أحاط بمعظمها من قبلي الأستاذ الدكتور شوقي ضيف نائب رئيس المجمع، والأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع في حديثيهما الرائعين. لهذا فإني أستأذن في أن أقصر حديثي عنه اليوم على جانب واحد فقط من تاريخه الحافل ، وهو اهتمامه باللغة العلمية العربية، وقضايا تعريب العلم والتعليم بالجامعات وهيئات البحث والتطبيق . ويشرفني أن أذكر له حكمة وردت في كلمة له في تقديم أحد المعاجم العلمية المتخصصة تقول: " لا حياة للعلم بدون لغة تؤديه ، ولا سبيل إلى النهوض به في وطن ما إلا أن يتدارسه المختصون فيه بلغتهم الوطنية "، وقد أصبحت هذه الحكمة عنوانا للعديد من المؤتمرات والندوات يرددها كل من يعنى بأمر اللغة والعلم وكل من ينادي بتعريب العلم والتعليم .

وكان مجمع اللغة العربية من أسبق الهيئات لتحقيقها باتخاذ خطوة إيجابية منذ إنشائه ، بفتح صدره لنخبة من الجامعيين العلميين الغيورين على اللغة العربية، والمهتمين بقضايا التعريب من أمثال محمد شرف، ومصطفى نظيف، ومرسى أحمد، وأحمد زكي، والحفناوي، والشرباصي، والدمرداش، ومنتصر ،وغيرهم ، عليهم جميعا رحمة الله . ومنذ خمسة وعشرين عاما شكل المجمع من أعضائه العلميين واللغويين لجانا علمية لغوية متخصصة في عدد من فروع العلم الأساسية والتطبيقية تعمل كلها بإشراف وتوجيه من مجلسه .

وأحاط الدكتور إبراهيم مدكـــور هذه اللجان العلمية اللغوية المتخصصـــة بالكثير من رعايته واهتمامـــه ، تحقيقًـــا وتنفيذاً لما ورد في قانون المجمع من بنـــد يقول: " العمل على أن تعنى اللغة العربية بمطالب العلوم والفنون والحضـــارة " ، وكوَّن الدكتور إبراهيم مدكور لجنة مـــن مقرري اللجان العلمية تعمل تحت إشرافه وتوجيهه ، وكلّفها بوضع منهج خـــاص تسير عليه في عملها يستند على مبـــادئ أساسية منها: الإفادة بما استقر في التراث العربي من مصطلحات علمية عربيـــة أو معربة صالحة للاســـتعمال الحديـــث ، والوفاء بأغراض التعليم ومطالب الترجمـة والتأليف والثقافة العلمية العالية ، ومنـــها أيضا مسايرة النهج العلمـــي العـــالمي في وصع المصطلحات تيســـيرًا للمشـــتغلين بالعلم والدراسة .

وفي ضوء هذه المبادئ وتوجيـــهات الفقيد الكبير، تقدمت اللجنة بمجموعـــة من التوصيات تناولت :

- إيثار ترجمة المصطلح دائـــمًا علـــى تعريبه ، إلا إذا استعصت الترجمـــة فيلجأ إلى التعريب .

- اعتبار اللفظ المعرب لفظًا عربيًّا يخضع لقواعد اللغة العربية على أن يســـيغه اللسان العربي .

- إفراد المصطلح المتخصص بمصطلـــح عربي واحد فقط وإلحاقـــه بشـــرح مبسط له يوضح دلالته العلمية .

ووافق مجلس المجمع ومؤتمره على ما جـاء في هذا النهج وأوصى بنشره على أوســع نطاق بين المشتغلين بالعلم وبـــالتطبيق .

وفي بضع سنوات أخرج المجمع أربعـــة عشر معجمًا علميًا عربـــيًّا إنجليـــزيًّا متخصصًا تحوي أكثر من مئـــة ألـــف مصطلح علمي مقنّنًا ومشروحًا ، تناولت علوم الرياضيات، والفيريقا، والكيميـــاء والصيدلـــة، والبيولوجيـــا، والزراعـــة، والجيولوجيـــا، والجغرافيـــا، والنفـــط، والهندســـة ،والطـــب ،والحاســـبات .

ونشرت هذه المعـــاجم في دور العلـــم والتعليم حيث صادفت قبولا وســـدت فراغا ظل شاغرا في المكتبة العربية لأمـــد طويل . ويجري حاليا إخراج عدد آخـــر منـــها في علـــوم القـــانون والمنطـــق والإنثروبولوجيا والحضـــارة والموســـيقا والفنون .

وبالإضافة إلى اهتماماته الموفقة في إخراج المعاجم العلمية ، لم يفت الدكتور إبراهيم مدكور الإشادة في جميع خطبه وأحاديثه بما قدمه ويقدمه العلميون من إنجاز ، مما حفّزهم لاستكمال مسيرتهم في العمل على استحداث معاجمَ في فروعٍ أخرى من العلم . ولم يقصر الدكتور إبراهيم مدكور نشاطه على داخل المجمع، بل امتد خارجه أيضا . فقد كان يحرص دائمًا على حضور المؤتمرات القومية العلمية، ويدعو فيها إلى ضرورة تنشيط قضية التعريب،وتشجيع الترجمة والتأليف باللغة العربية ، والدعوة إلى توحيد المصطلح العلمي العربي . وشارك بنفسه في هذه الجهود بإخراج طبعات جديدة من المعجم الوسيط تحوي زيادة واضحة من الألفاظ العلمية الشائعة الاستعمال . ويتم الآن تطعيم المعجم العربي الكبير أيضا بما يتطلبه الإنسان العربي المثقف من ألفاظ علمية .

وثمة جهود أخرى للفقيد الكبير الدكتور إبراهيم مدكور، لا تقل أهمية عن اهتماماته باللغة العلمية العربية . وهي مسايرة متطلبات العصر في استخدام التقنيات الحديثة في إدارات المجمع، ولجانه ،ومجالسه بإنشاء شبكة متكاملة لحاسب آلي كبير يعي بكل هذه الأنشطة ،ويرفع قدراتها وكفاءاتها أضعافًا كثيرة . ومن الجدير بالذكر أن شبكة الحاسب الحالية بالمجمع متصلة اتصالاً مباشرًا بالشبكة القومية المصرية للمعلومات واتخاذ القرار بمجلس الوزراء، مما ييسر لها التعامل مع جميع شبكات الهيئات العلمية الكبيرة في مصر كالجامعات والوزارات والمؤسسات. وتعني اللجان العلمية حاليًا بتغذية خزانة الحاسب بكل ما في معاجمها من مصطلحات في فروع العلم مضافًا إليها كل ما أصدره المجمع من مصطلحات في هذه الفروع، وما سوف يصدره منها في دوراته القادمة المتعاقبة أولاً بأول .

وغني عن البيان أنه فضلاً عن استيعاب الحاسب هذا الكم الهائل من المصطلحات والبيانات ، فإنه يتم الرجوع إلى أي مصطلح أو بيان منها في لحظة إذا ما طلبته اللجان أو المجالس أو المؤتمرات أو أية جهة أخرى خارجية ، كما أنه يمكن استخراج أقراص مغنطيسية صغيرة مسجل عليها مصطلحات علم بأكمله إذا ما طلبتها هيئة أو جهة خارجية .

وثمة إنجاز آخر كبير بدأ تنفيذه بالمجمع بتوجيه من الفقيد الكبير هو الإسراع بإخراج المعجم الكبير الذي كان العمل قد بدأ فيه منذ إنشاء المجمع تقريبًا ولكنه سار بالطرق التقليدية التي لم تنجز منه إلا جزءًا صغيرًا حتى الآن . والأمل معقود على أن تسمح الظروف والإمكانات الحالية، ووجود الحاسب بالإسراع في السير في إنجاز هذا المشروع الضخم مع تحديثه وتطويره لمسايرة حاجيات العصر ومتطلباته .

سادتي :

هذه إلمامة سريعة عن جانب واحد فقط مما قدمه، أو شارك فيه، أو وجّه إليه فقيدنا الكبير الدكتور إبراهيم مدكور في خدمة اللغة العربية عامة واللغة العلمية العربية خاصة ، وما تركه فيهما من بصمات سوف تظل خالدة وضّاءة في سجل التاريخ .

وإذ يسجل العلميون في المجمع إيمانهم بقضاء الله وقدره ، لا يسعهم إلا أن يتقدّموا للوطن العربي بخالص العزاء على رحيل حامل لواء اللغة العربية في مصر وشيخ المجمعيين . وهم يؤكدون ثقتهم في قدرة خلفائه المخلصين على مواصلة السير بركب اللغة نحو آفاق رحبة ومستقبل زاهٍ يضعها في مصاف اللغات العالمية الحية ، لغة رفيعة المستوى جديرة بما أضفاه عليها القرآن العظيم من تكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود مختار

عضو المجمع

راعي الفصيحة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسين

عضو المجمع

إلى روح الرئيس العظيم ، والفيلسوف الحر ، واللغويّ الفذّ ، والمثقف البحر، والمعلم المثال ، والرجل الإنسان ، المغفور له الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور ؛ رئيس مجمع الخالدين : تغمَّده الله بواسع رحمته ،

أرضُ الفصاحةِ زَلزِلتْ زلزالها ... قد كان نجمًا في سماها ساطِعًا

فارتاع أهلوها وقالوا: مالَها ... من أجله كلٌّ يروم وِصَالَها

ردَّ الصَّدَى : شيخُ الفصيحةِ قد مَضَى ... سِيما الرئاسةِ فطرةٌ في طبعِهِ

جَلَّ المصابُ عَنِ العَزا يا آلَها ... لم تأتِه مِن رُتبةٍ قد نَالها

مدكورُ أوْدَى وانقضَتْ أيامُهُ ... ضادُ العُلُومِ له تدين بمجدِها

ياللرزيةِ أثقلتْ أهوالَها ... قد حلَّ عقدتَها وهذَّب قالَها

راعي الفصيحةِ قد مضى أنَّى لها ... والإصطلاح : فنونه وعلومه

راعٍ يصونُ ذمارَها؟ أنَّي لَها؟ ... سُننٌ له هو قد أقرَّ أُصولَها

* * *

يا رُفْقَةَ الفصحى أُحلِّفُكُم بِهِ ... قد كنتَ يا مدكورُ صاحِبَ حُجَّةٍ

أبقُوا عليهَا شأنَها وجَمالَها ... في الحقِّ تُفحِمُ من يقوم حِيالَها

خمسين عامًا ظلَّ يحْمي رَبعَها ... (ثبتًا على زَلَلِ الحوادثِ راكبًا

كُونوا لها من بعدِهِ أبطالَها ... من صرفهن لكل حالٍ حالَها)

وترسَّموا خُطُواتِه فَهْوَ الذي ... والفيلسوفَ الحرَّ في فكرٍ وقـ

سوَّى الطريقَ لها وحلَّ عِقَالَها ... ـسولٍ ليس يَنْقُضُ ، قولة قد قالها

* * *

قد كان نهرًا في ثَراها دافقًا ... الضادُ لاهجةً بفضلك عمرَها

أحلى مناهلِها وثجَّ زُلالَها ... كم قد حَميتَ ذِمَارها ورجالَها

قد كان طودًا في حِماها شاهِقًا ... باللقوافي ما قَضَيْنَ لبانتي

فأعزَّ هيبتَها وصان جلالَها ... من رَثْيِكم ، باللقوافي يَالَها

قَصَرَتْ عنِ الشَّرفِ الرَّفِيع لأنها
وحَبَاكَ ربُّكَ جنةً فينانةً

ذَهِلتْ لفقدك ما تَعي أفعالَـــها
في الخُلدِ تمرأُ شهدَها وزُلالَـــها

* * *

طوبى لروحِكَ يا رئيسُ برتبةٍ
ضمَّتْ رُفاتَكَ روضةٌ مِعطارةٌ
شمَّاءَ في آفـــاقِها ، طوبى لَـــها
(سحَّت بها دِيَمُ الربيعِ طِلالَـــها)

محمد يوسف حسن

عضو المجمع

بُكَائيةُ الضَّاد

في رثاء شيخ المجمعيين إبراهيم مدكور

قصيدة للأستاذ الدكتور كمال دسوقي

مقرر لجنة الفلسفة بالمجمع

فريدٌ كحرف الضاد في لغة العُرْب ... سَهيرٌ على الصحيح من لغة الفُرقا

مُفخَّمُ صَوْتاتٍ تُرقِّقُها الرُّبُضْ ... نِ دَهرًا فما غَفا ولا حَفْنُه غَمَضْ

* * *

سواء على سِبْوَيه رخوة ضاد مصـــ ... ـــرَ والشامِ أم شِدَّةُ النطقِ تَنْقَرِض

فلا الضادُ ظاءَ الفُرس والتركِ حيثُما ... فسهمُ افتقادي الأبَ لم يخطئ الغَرَض

تعثُّرُ صوتٍ دونَ إحكامِه نَقَضْ ... تفرَّدَ فينا الجوهرَ الأولَ الذي

ولا ضَعفُ ضَادِ ابن يعيشَ-حلا النطق ... نقومُ ثوانيه كما الكيفُ والعرض

بطرف اللسان والثنيتين،بنى حَمُض ... أخذْنا عليه العهدَ أن نقتدي به

ولا موقفُ ابنِ فارسٍ وابنِ جِنِّيٍّ ... فبارِكَ مَسْعانا ، وإنْ حظُّنا رَفض

وشُرَّاحِ مَتْنِ "شفاءِ" قاضيهمو عِيَضْ ... فأباؤه إذ أسرَفوا وتشيَّعوا

فمذكورُ في القرآن " مُذْتَكر " الفَرَّا ... وأضحى تَفَلْسُفُهم بأنفُسهِم مَرَضْ

ءِ يَسَّـــرَهُ اللهُ ليجـــلوَ ما غَمُضْ

تفرَّقَتِ الأهواءُ في مِللٍ شتَّى ومعذرةً مَوْلايَ : ما أمسِ حَبَّبتَ

يُكَفِّرُ كُلُّ مَنْ تحاوَرَ فاعترضْ منهاجَ علمٍ اليومَ قد بَغُض

تَهافتَ أصحابُ المذاهب لا يمحّـ ولستَ تُوَفّى حقَّ قَدْرِكَ سَيِّدي

صونَ الذي بَنَى الحقَّ والذي قَوَض بما كَاتِبٌ سَطَّرَ أَوْ شَاعِرٌ قَرَضْ

وبعضهمُ استعدى على الغيرِ سُلْطَانَهْ عليكَ سلام الله في منـــزل الأبرا

فاهلَكَهُ والغَيرُ شيطانهُ الحرَضْ ر والشـــهداءِ بجناتِه الرِّيَضْ

واحْرَقتِ البغضاءُ جوفَ مُنَاظِرِهْ وقبرًا ثويتَ به يُجَلِّله الرضوا

منَ الغيظِ ما دَرى بمن قبلَه ارتمضْ نُ ما قصفَ الرعدُ سَنَا برقِه وَمَض

* * * وذكراكَ تبقى في مُريديك حتى يو

تجلَّدْ ، فما بعدَ مدكورٍ لنا حِمىً مَ لُقْياكَ ما بالقلب ضَخُّ دَمٍ نَبَضْ

وَلاَ عَنْه للسَّالكِ في دَرْبه عِوَضْ

ثكِلتُ حياتي بعد إبرَهم إذ وَصَّى **كمال محمد دسوقي**

بَنيـــه فما أدّوا إليهِ الَّذِي فَرَضْ عضو المجمع

ومقرر لجنة الفلسفة بالمجمع

الدكتور إبراهيم مدكور : حياته الفكرية والفلسفية

للأستاذ الدكتور عاطف العراقي

رحل عن عالمنا- في الخامس من شهر ديسمبر- علم بارز من أعلام فكرنا العربي المعاصر . هو الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية .

والواقع أننا نجد أنفسنا- حين نتحدث عن الدكتور إبراهيم مدكور- أمام رجل بارز من رجال الفكر ، أستاذ للفلسفة بكل ما تحمله كلمة الأستاذ من معانٍ ومدلولات ، أديب يعبر من خلال كتاباته الأدبية عن أسمى درجات الإحساس والوجدان ، رجل اهتم اهتمامًا كبيرًا بمشكلاتنا الاجتماعية، ومشكلاتنا السياسية، منذ السنوات الأولى بعد عودته من فرنسا؛ حيث سافر إليها للحصول علي درجة دكتوراه الدولة في الفلسفة من السوربون .

ولم يقتصر نشاطه على البحوث والدراسات العميقة غاية العمق ، بل إنها تعدت ذلك إلى رعاية طلابه رعاية مستمرة . هؤلاء الطلاب الذين ينتشرون الآن في بقاع الأرض من مشرق الدنيا إلى معربها، وخاصة في عالمنا العربي من محيطه إلى خليجه .

نعم لقد احتل الدكتور إبراهيم مدكور في فكرنا العربي المعاصر مكانة كبيرة . لقد أسهم طوال حياته في دراسة وتحليل العديد من القضايا الفكرية والأدبية والفلسفية . وإذا كان الرجل قد رحل عن حياتنا التي نحياها ، فإن مجهوداته الفكرية والعلمية ستظل باقية طوال السنين، وعلى امتداد أرضنا العربية من مشرقها إلى مغربها . لقد ظل الرجل يكتب،ويحاضر، ويشرف على العديد من أوجه النشاط الفكري والفلسفي طوال أكثر من ستين عامًا، وعلى رأسها نشاطه داخل مجمع اللغة العربية عضوًا ، وأمين سرٍّ ، ورئيسًا له حتى وفاته، بالإضافة إلى اهتماماته الاجتماعية والسياسية .

لقد جمعتني بالرجل ذكريات عديدة. ناقشني في رسالتي للماجستير ورسالتي للدكتوراه . رحَّب باختياري خبيرًا للفلسفة بمجمع اللغة العربية . اختارني عضوًا باللجنة الدولية لنشر تراث أعظم

فلاسفة العرب وآخرهم ، ابن رشد ، عملاق فلسفتنا العربية في المشرق والمغرب معًا. اشتركت معه في مناقشة أكثر من رسالة علمية للماجستير والدكتوراه ، أهديت إليه أول كتاب قمت بإصداره بعد رسالتي للماجستير والدكتوراه وهو كتاب : مذاهب فلسفة المشرق . تبادلنا العديد من الخطابات داخل مصر وخارجها، وسأقوم بإيداعها مجمع اللغة العربية. كتبت عنه دراسة تم نشرها بمصر احتفالاً بعيد ميلاده الخامس والثمانين . ويشاء القدر أن تبدأ صلتي الفكرية به في ديسمبر عام ١٩٦٥م ، ويرحل عن عالمنا في الشهر نفسه بعد ثلاثين عاما .

ولسنا في حاجة إلى الحديث عن تفصيلات حياته ، فهي معروفة ومنشورة بكتاب " المجمعيون في خمسين عامًا" وفي كتب أخرى ، سواء كتبها هو ، أو كتبها آخرون عنه . ومن المناسب أن نبدأ برحلة للدراسة بالخارج ، وبعض إنجازاته بعد عودته من البعثة .

لقد سافر إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه ، وذلك بعد عرقلة بعثته إلى إنجلترا بسبب الخلافات السياسية . ودرس بفرنسا الفلسفة والقانون . وحصل على درجة الليسانس في الآداب، ودرجة الليسانس في الحقوق ، وبعدهما حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من السوربون . التقى به- في باريس - الدكتور عثمان أمين ، الذي يعد واحدًا من بين أعظم الأساتذة في عالمنا العربي ، وذلك في خريف عام ١٩٣١م ، وكان إبراهيم مدكور قد سبقه إلى السفر إلى فرنسا . ويشاء القدر أن يشرف الدكتور مدكور على كتاب تذكاري صدر عن عثمان أمين ، وأن يشرف عثمان أمين على كتاب تذكاري صدر عن إبراهيم مدكور .

ويتحدث الدكتور عثمان أمين عن جلسة مناقشة إبراهيم مدكور في رسالته للدكتوراه قائلاً : " لقد كنت حاضر الجلسة المشهودة ، جلسة المناقشة لرسالتيه عن " منطق أرسطو في العالم العربي" ، و"مكانة الفارابي في المدرسة الفلسفية الإسلامية" بمدرج ريشليو بتلك الجامعة ، فكنت من أشد الناس إعجابا برباطة جأشه، وحضور بديهته، واستقامة حُجَجِه ووضوح رؤيته. وغمرني شعور الفرح حين سمعت أعضاء اللجنة الموقرة

يوجهون إليه موفور الثناء على تلك الصفات الجميلة البارزة التي تجلّت في رحابة النظر، وفي الصبر على البحث ، والاتزان في الحكم .

كان الدكتور إبراهيم مدكور مهتمًّا بالنشاط السياسيِّ والإصلاحيِّ منذ أن كان طالبًا، وبعد عودته من فرنسا تم اختياره عضوًا بمجلس الشيوخ ، وكم أغنى جلسات المجلس بالعديد من المناقشات المثمرة والعميقة ، وكم ضحَّى بوقته وجهده لتقديم العديد من الاقتراحات.

لقد استطاع تحقيق الترابط بين الأبعاد النظرية؛ والأبعاد العملية؛ نتيجة لاعتقاده بأن للفلسفة دورها السياسي والإجتماعي .

يقول الدكتور عثمان أمين عنه : لقد اجتمعت له صفات الجامعي المحقق، والمجمعي الأمين، ورجل العمل الواعي . كان من أولئك القلائل الذين تحققوا على الأصالة بالقول المأثور : اعمل كأنك رجل فكر ، وفكّر كأنك رجل عمل .

كانت علاقة الدكتور مدكور بأساتذة الفلسفة علاقة زمالة وصداقة ، ومن بينهم: مصطفى عبد الرازق، وعثمان أمين، وتوفيق الطويل، ومحمود الخضيري،وأحمد فؤاد الأهواني . أثنى على كل واحد منهم ثناء بغير حدود . أرسل لي حطابا وأنا أقوم بتدريس الفلسفة بجامعة قسنطينة بالجزائر منذ ربع قرن من الزمان ، وعلى وجه التحديد في مارس عام ١٩٧٠م ، يحثني فيه على متابعة كل ما يتعلق بالدكتور أحمد فؤاد الأهواني بعد وفاته بالجزائر ؛ حرصًا على مصالح أسرته بالقاهرة . إن الإنسان يشعر بالحسرة حين يقارن بين أخلاقيات مفكرينا الكبار- ومن بينهم الدكتور إبراهيم مدكور - وبين ما نجده عند أبناء هذا الجيل الضائع من شتائم موجهة ضد أساتذتهم .

قدَّم الدكتور إبراهيم مدكور إلى مكتبتنا العربية الكثير من الدراسات ، كما كتب أيضا باللغة الفرنسية ، ومن بين كتبه: كتاب " في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيق" وأسهم - كما قلنا - في العديد من المؤتمرات التي أقيمت للاحتفال بذكرى الشخصيات البارزة كالغزالي، وابن خلدون، وطه حسين ولويس ماسينيون، وابن سينا. حصل على جائزة الدولة التقديرية من مصر ،

وعلى الدكتوراه الفخرية عـــام ١٩٦٤م من جامعة برنستون، وكان عضوًا -حتى وفاته- بالمجلس الأعلى للثقافـــة. وكـــم رحب بعضوية الدكتور توفيق الطويـــل ، كما شجع عضويتي بلجنـــــة الفلســـفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة .

ولم يكن الدكتور مدكور يضيـــق بخلافي معه في الرأي، سواء أثناء مناقشتي في رســـالتي للماجســـتير ورســـــالتي للدكتوراه، أو أثناء اشـــتغالي بالقضايـــا الفلسفية والفكرية التي مازلت مهتمًّا بها، اختلفنا حول تسمية فلســـــفتنا : أهـــي إسلامية أم عربية ؟ كان يقول في كتابـــه "في الفلسفة الإسلامية":إنها إســـــلامية، وكنت من جانبي لا أتردد في القول بأنها عربية. كان يقول:إن الغزالي يعد فيلسوفًا، وكنت ومازلت أقول: إنه خارج إطـــار فلاسفة العرب ؛ فهو لا يزيد عن كونـــه متكلمًا أشعريًا وصوفيًا . كان يرى مـــن خلال الفصل الذي كتبه عن الفلسفة من كتاب" أثر العرب والإسلام في النهضـــة الأوربيـــة " أن خصـــائص الفلســـــفة الإسلامية تتبلور حول كونها فلسفة دينية وروحية، وأنها عقلية توفيقية ، وكنـــــت أقول: من الظلم لفلســـــفتنا العربيـــة أن نقول: إنها حصرت نفسها حول موضوع التوفيق بين الدين والفلسفة ، وخاصـة أن فلاسفة العرب لم يقدر لهم النجـــــاح في التوفيق بينهما ، بالإضافة إلى أن فلاســفة العرب لم يكن الهدف من مذاهبهم مجـرد التوفيق بين الدين والفلسفة .

كان يثني على ابن سينا أكثر مـــــن ثنائه على ابن رشد ، وكنت أقول له :إن أمتنا العربية لم تنجب فيلســـــوفا يكـــاد يقترب من عظمة ابن رشد عميد الفلسفة العقلانية في العصر الوسيط، كان يبـــالغ أحيانا في إثبات تأثر مفكري الغـــرب في العصر الحديث ، بأفكار العديـــــد مـــن مفكرينا ، وكنت أقول: إن طبيعة الفكرة عند المفكر الأوربي قـــد تختلـــف عـــن طبيعتها عند المفكر العربي ، بل ربمـــا لم يسمع المفكر الغربي عن مفكرينا العرب.

ولكن رغم هذه الخلافات في الرأي ظلت الصداقة بيننا مستمرة . وكـــم دار بيننا الحوار حول كتبه الـــــتي صـــدرت مؤخرًا ومن بينها كتابه " في الأخـــــلاق والاحتمـــاع" وكتابـــه " في الفكـــــر الإسلامي"،ودراساته في الكتب التذكارية التي أشرفت عليـــها بـــالمجلس الأعلـــى للثقافة، ومن بينهما كتب تذكارية عـــن

يوسف كرم ،وابن رشد ، والشيخ محمد عبده ، والدكتور توفيق الطويل .

وقد كان شيئًا طبيعيًا أن يحظى مفكرنا الدكتور إبراهيم مدكور بالثناء والتقدير والإعجاب من جانب العديد من الهيئات العلمية والفكرية في أرجاء العالم كله شرقا وغربا . وعلى مستوى مصر فقد حصل - منذ أعوام بعيدة- على أعظم جائزة وأرفع وسام ، وأعني بهما جائزة الدولة التقديرية.

كما التقى حول فكره آلاف الدارسين والباحثين .

وعلى الرغم من اهتمامات الدكتور مدكور العديدة والمثمرة ، فإن المجال الرئيسي لاهتماماته هو مجال الفلسفة . لقد عمل مدرسًا للفلسفة -كما ذكرت- فور عودته من البعثة بفرنسا. يقول الدكتور عثمان أمين : لقد دارت الأيام ورأيت الدكتور إبراهيم مدكور في القاهرة يحاضر في الفلسفة الإسلامية مع أستاذنا المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، فيجلو للطلاب مواقف الفارابي، وابن سينا، والغزالي، وابن رشد، وينشر من تلك المواقف فصولاً متتابعة في مجلة "الرسالة " جمعها بعدئذ في كتاب عنوانه " في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق" (دراسات فلسفية ص ١٠)

إن نقطة الانطلاق الجوهري في فكر الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور تتمثل في سعيه سعيًا مستمرًا، سواء عن طريق مؤلفاته، أو مقالاته باللغة العربية واللغة الفرنسية،أو محاضراته وبحوثه في المؤتمرات الفلسفية العالمية . أقول: إنما تتمثل في سعيه إلى الربط بين الماضي والحاضر ؛ فهو لا يقف عند الماضي لمجرد أنه ماض أو تراث ، بل إنه يسعى بكل قوته إلى أن نأخذ في اعتبارنا ظروف الحاضر والمستقبل . وهذا- لعمري- يكشف عن عمق نظرة مفكرنا ورؤيته المستقبلية الحادة والثرية ثراء فكريًا واضحًا .

إنه بالإضافة إلى ذلك يعد من الذين اهتموا ببيان أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، إن هذا الجهد من جانبه إن دلّنا على شيء فإنما يدلنا على أنه ينظر إلى التاريخ الفكري الحضاري على أساس أنه متماسك الحلقات، فإذا كانت كل حلقة تستمد بعض مقومات وجودها من الحلقة السابقة عليها فإنها تؤدي بدورها إلى التأثير في الحلقات أو الأدوار التالية لها . وهذا ما نعنيه عادة

بقضيـــة التـــأثر والتأثـــير؛ فـــالمفكر أو الفيلسوف بقدر ما يكون متأثرا في بعض آرائه بآراء السابقين له ، فهو في الوقـــت نفسه يكون ـ عن طريق آرائه – مؤثرًا في صياغة وبلورة آراء الذين يأتون بعـــده . وكم أكّد على هذا الجانب وبحثه بحثًـــا عميقًا، أستاذنا الدكتور توفيق الطويل في كتبه العديدة .

لقد عالج الدكتور مدكـــور هـــذه القضية علاجًا مستفيضًا دقيقًـــا . فـــإذا رجعنا –على سبيل المثال– إلى الفصـــل الخاص بالفلسفة من كتاب "أثر العـــرب والإسلام في النهضة الأوربيـــة" وهـــو الفصل الذي كتبه الدكتـــور مدكـــور، وجدناه يحدد لنا صلة الفلسفة الإســلامية ومميزاتها . إن هذه الخصائص إنما تتبلـــور حول كونها فلسفة دينية روحية ، كمـــا أنها فلسفة عقلية توفيقية ، بالإضافـــة إلى أنها فلسفة وثيقـــة الصلـــة بـــالعلم . ثم يكشف لنا في دراسته هذه كيفية انتقالها إلى الغرب سواء عن طريـــق الاتصـــال الشخصي أو عن طريق الترجمة اللاتينية. كما يحدد لنا أسماء أهم الكتب التي تمـــت ترجمتها . وبالإضافة إلى ذلك ، ولكـــي يحدد الدكتور مدكور أوجه تأثيرهـــا في النهضة الأوربية ، فإنـــه يختـــار ثـــلاث مشكلات هي: مشكلة الوجود والماهيـــة ومشكلة المعرفة ، ومشكلة النفس. إنـــه يحلل هذه المشكلات تحليلاً دقيقًا، ويـــبين لنا– عن طريق تقديم مجموعة من الأدلة– كيف أثرت آراء فلاسفة العرب حـــول تلك المشكلات في صياغة هذا الـــرأي أو ذاك من الآراء التي قال بها أكـــثر مـــن فيلسوف من فلاسفة المسيحية في العصـــر الوسيط، والعصر الحديث أيضـــا . إنـــه يقول في خاتمة دراسته هذه : لقد فتَحَتِ الفلسفة الإسلامية أمام اللاتـــين آفاقًـــا جديدة ووجهت أنظارهم نحو ثقافـــات لم يكونوا يأبهون لها . حبَّبتهم في الثقافـــة العربية فجدُّوا في طلبها والأخذ عنـــها، وربطتهم بالفكر اليهودي؛ فأضحى جزءًا لا ينفصل عن الفكر المسيحي في القـــرون الوسطى . وعن طريق الثقافة اليهوديـــة العربية نفذوا إلى الثقافة اليونانية فكشـــفوا عن ذخائرها وأقبلوا عليها أكثر مـــن ذي قبل .

والواقع أن هـــذه الآراء مـــن جـــانب الدكتور إبراهيم مدكور تدلنا على إيمانـــه بضرورة الربط بين القـــديم والجديـــد . صحيح أن المقارنات وإثبات فكرة التـــأثر

والتأثير قد تكون لها مخاطرها ، ولكن الدارس المحلل والمتعمق لتاريخ الفكر الفلسفي يجد من واجبه التنبيه إلى أوجه التشابه بين أفكار مفكر أو فيلسوف وأفكار مفكر أو فيلسوف آخر، وخاصة إذا وجد أمامه الوثائق والمصادر التي تثبت له أخذ اللاحق عن السابق.

كما نود أن نشير إلى أن تأثر اللاحقين بالسابقين إنما يعد ظاهرة صحية وليس ظاهرة مرضية . فمن من الفلاسفة لم يأخذ عن غيره ؟ إنه من الصحيح تماما أن نقول: ليس فينا أصيل ، وذلك إذا فهمنا الأصالة بمعنى عدم تأثر الفيلسوف بأية فكرة سبقته وقال بها فيلسوف أو مفكر آخر .

إن المحلل لكتابات مفكرنا إبراهيم مدكور يجد أنه دائما يدعو إلى فتح النوافذ . يدعو إلى عدم الانغلاق . إن كتاباته تمثل دعوة إلى الانفتاح وليس الانغلاق . إن الانغلاق يودي إلى الفساد والموت ، كمن يتنفس هواء راكدا غير متجدد ويجد أنه من الضروري- لكي يُبقى على حياته وأسباب وجوده- أن يقوم بفتح النوافذ وإلا أصبح في عداد الأموات .

إن الدكتور إبراهيم مدكور كان يدعونا إلى أن نتجه إلى الترجمة بكل قوتنا ويضرب مثالاً على دلك بظاهرة صحية غير مرضية حدثت في العصر العباسي، وهي انفتاح العرب على النوافذ الثقافية الغربية اليونانية وما أحرانا أن نفعل ذلك الآن ! إننا - إذا لم نفعل ذلك - لن نستطيع مواكبة عصرنا وما فيه من تيارات متجددة، وستصيبنا لعنة المفكرين في كل زمان ومكان، وسيلحقنا الفناء، والدمار، والهلاك إن عاجلاً أو آجلاً . ولاشك أن اغتراف مفكرنا الدكتور إبراهيم مدكور من مصادر الثقافات الأجنبية - منذ سفره إلى فرنسا طلبًا للعلم- قد أثر عليه في دعوته إلى التأكيد على أهمية الترجمة والاطلاع على أفكار الآخرين، سواء اتفقنا معهم في الرأي أو اختلفنا معهم . إنني لا أشك في أن دعوة الدكتور مدكور إلى أهمية الترجمة ودراسة اللغات الأجنبية، إنما كانت من جانبه تأثرا بدعوات فلاسفتنا إلى الانفتاح على أفكار اليونان .وفلاسفتنا العرب قد آمنوا بأهمية الترجمة والاطلاع على أفكار فلاسفة اليونان . وكم دعانا الكندي إلى أن نطلب الحقيقة كحقيقة، أي بصرف

النظر عن مصدرها، سواء كانت عربية أو غير عربية(أي أجنبية يونانية) . وكم دعانا ابن رشد آخر فلاسفة العرب إلى أن نطلع على أفكار الأمم الأخرى، فما كان منها صوابًا استفدنا منه وشكرناهم عليه، وما كان غير صواب نبهنا إليه وبيَّنا أنه ليس من الضروري أن نعتقد ما يعتقدونه من آراء .

ودعوة الدكتور مدكور إلى التنبيه على أهمية الترجمة والانفتاح علي أفكار الآخرين، تعد دعوة غاية في الأهمية، وخاصة في أيامنا الحالية والتي نعيشها الآن.

لقد دعا الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور إلى ضرورة الترجمة للتعرف على أفكار الآخرين، وهو يؤكد ذلك خلال مناقشته لكل رسالة من الرسائل العلمية ، أو في محاضرة، أو في ندوة من الندوات التي أشرف عليها، وما أكثرها !

أقول: إن الدكتور مدكور- بالإضافة إلى ذلك- يؤكد تأكيدًا رئيسيًا ويركز تركيزًا لا حدَّ له على أهمية تحقيق التراث. ولا أشك من جانبي لحظة واحدة في أن المهتمين بتحقيق التراث، سواء في عالمنا العربي من مشرقه إلى مغربه، أو في العالم الغربي، يذكرون دومًا أياديه البيضاء وبصماته الواضحة والظاهرة في هذا المجال ، مجال تحقيق التراث . لقد أشرف على تحقيق العديد من أمهات المصادر الفلسفية وكنوز الفكر العربي الإسلامي. ومن بينها- على سبيل المثال لا الحصر- كتاب "الشفاء" لابن سينا، وهو موسوعة ضخمة استغرق العمل فيها أكثر من ربع قرن من الزمان . لقد شارك في هذا العمل الضخم- الذي لا يستغني عنه أي باحث في الفكر الفلسفي العربي من قريب ومن بعيد- مجموعةٌ من المحققين والدارسين الممتازين، من بينهم: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، والأب جورج قنواتي الذي يعد علامة مضيئة في سماء حياتنا الثقافية، وخاصة ما تعلق منها بمجال تحقيق التراث ، والأستاذ محمود الخضيري ، والدكتور أبو العلا عفيفي وغيرهم . لقد صدر قرار بتأليف لجنة تحقيق كتاب "الشفاء " عام ١٩٤٩م ومنذ هذا التاريخ والكل يعمل ويؤدي واجبه تحت إشراف ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور . لقد جاء التحقيق آية في الدقة . إن المقارن بين هذا التحقيق وبين ما يحدث ويشيع

الآن عندما تقوم مجموعة من الناس بمجرد طبع كتب التراث ، بمجرد تحويل الصفحات الصفراء إلى صفحات بيضاء ، لابد أن ينظر بعين الإعجاب والتقدير إلى الجهد الكبير الذي قام به المشتركون في تحقيق كتاب "الشفاء" لابن سينا تحت إشراف ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور . إن ما يشيع الآن -كما قلت- إنما هو مجرد طبع كتب التراث، وهي عملية تجارية أساسًا، ولا تدخل في إطار العلم من قريب أو بعيد . أما بالنسبة لكتاب "الشفاء" فإن تحقيقه-كما قلت- يُعدُّ قائمًا على منهج علمي أكاديمي . لقد كتب الدكتور طه حسين تصديرا ممتازا لهذا العمل . وكتب الدكتور إبراهيم مدكور مقدمة رائعة، تناول فيها كل ما يتعلق بكتاب "الشفاء" من حيث موضوعه، وصلته ببقية كتب ابن سينا، وإلى أي مدى يعبر عن فلسفته وترجماته وأثره في العالم العربي والعالم اللاتيني الغربي .

وما يقال عن كتاب "الشفاء" يقال عن كتب عديدة من بينها: كتاب "المغني" للقاضي عبد الجبار المعتزلي، وكتاب "الفتوحات المكية" للصوفي ابن عربي، وهو يعد من أهم كتبه كما يعد موسوعة أو دائرة معارف في مجال التصوف الإسلامي ، والفلسفي منه على وجه الخصوص ، وقد ظَلَّ زميلنا الدكتور عثمان يحيى يخرج الجزء بعد الآخر من أجزاء هذا الكتاب الرائع تحت إشراف ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور، إلى آخر تلك الكتب التي تعد من روائع التراث العربي .

والواقع أن اهتمام الدكتور إبراهيم مدكور بمجال التحقيق ، إنما يعد من جانبه إيمانا بأهمية تراثنا العربي، وردًا على هؤلاء الذين ينادون بالابتعاد عن التراث، بالابتعاد عن القديم ، لمجرد أنه قديم . ومنذ سنوات قليلة دعا الدكتور إبراهيم مدكور إلى الاهتمام بتحقيق كتب الفيلسوف الذي يعد عميد الفلسفة العقلية في وطننا العربي ، وهو ابن رشد الفيلسوف الأندلسي . وقد تم فعلاً عقد أكثر من اجتماع بالقاهرة، بخصوص هذا الموضوع، وكنت مشاركًا في هذه الاجتماعات التي حضرها المهتمون بفلسفة ابن رشد، سواء في العالم العربي أو في العالم الغربي . وأشهد أن الدكتور إبراهيم مدكور كان حريصًا

الحرص كله على أن يتم إنجاز هذه العمل الضخم في أقرب وقت .

بل إن الاهتمام بمجال التحقيق يظهر من جانبه، سواء من خلال محاضراته أو من خلال إشرافه ورئاسته للعديد من المؤتمرات الفلسفية . أذكر أنه حين تكوَّنت لجنة بالقاهرة للإعداد لمؤتمر ابن رشد بالجزائر- وكنت من أعضاء هذه اللجنة مع العديد من الأساتذة الكبار من بينهم: أستاذنا الدكتور زكي نجيب محمود، والأستاذ بدر الدين أبو عازي، والأب جورج قنواتي، والدكتور ناصر الدين الأسد -أذكر أن مفكرنا إبراهيم مدكور اقترح أن يتم - قبل عقد المؤتمر- تحقيق كتاب أو أكثر من كتب هذا الفيلسوف المارد العملاق، أي ابن رشد. فنقدم بذلك أعظم خدمة للتراث الرشدي وللباحثين والمهتمين بالفلسفة الرشدية .

أما في مجال التأليف فإنه من الصعوبة بمكان - كما أشرت - أن نحلل آراء الرجل ونسبر أغوار فكره، وأكتفي -بالإضافة إلى ما سبق أن أشرت إليه أثناء حديثي عن بعض القضايا التي أثارها وحللها أستاذنا إبراهيم مدكور تحليلاً- دقيقا- أن أشير إلى أن آراءه وخاصة ما تعلق منها بمنهج البحث في فكرنا الفلسفي ، ودعوته إلى المنهج التاريخي المقارن، إنما كانت معبرة عن الاهتمام بتراثنا من جهة ، والنظر إليه بمنظور جديد من جهة أخرى . إن هذا ما يدركه الباحث جيدا حين يتأمل في كل سطر من سطور كتبه ومن بينها: كتابه "في الفلسفة الإسلامية : منهج وتطبيق" سواء في الجزء الأول، أو في الجزء الثاني، وكتابه "في الأخلاق والاجتماع" الذي يعد مُعَبِّرًا خير تعبير ليس فقط عن ضرورة الالتزام بمنهج علمي مدروس، بل يعد مُعَبِّرًا أيضًا عن نظراته الثاقبة وتأملاته العميقة وحرصه على الربط بين الأفكار الفلسفية وتطبيقاتها في مجال الأخلاق والاجتماع ، وكتابه الذي صدر مؤخرًا بعنوان "في الفكر الإسلامي"الذي يظهر من خلاله اهتمام مفكرنا الكبير بالفكر العربي والفكر الغربي قديمًا وحديثًا .

إن هذا الكتاب ، الذي كان في الأصل مجموعة من المقالات في مناسبات عديدة، إنما يعد معبرا عن نظرته إلى تاريخ الفكر الفلسفي العالمي، وكيف أن

كل حلقة من حلقات هذا الفكر تتأثر بالحلقات التي سبقتها، وتؤدي إلى الحلقات التي تليها . إنه لا ينظر إلى المفكر أو الفيلسوف إلا من خلال فلاسفة آخرين؛ إيمانا من جانبه بفكرة التأثر والتأثير . ولكن دون إغفال المميزات أو المقومات الخاصة بكل فيلسوف على حدة، وبكل مرحلة من مراحل الفلسفة على حدة. وأعتقد أن هذه تعد نظرة دقيقة وموضوعية. ونحن نقول دائما :إن من لم يقرأ إلا أفلاطون لا يفهم أفلاطون، ومن هنا فإن الفهم الصحيح والدقيق لفلسفة أي فيلسوف لا يتسنى لنا إلا إذا نظرنا إلى فلسفته من خلال ما سبقها، ومن خلال ما جاء بعدها.

لقد رحل عنا الدكتور إبراهيم مدكور . وأقول : إذا كنت أختلف مع الرجل حول رأي أو أكثر من الآراء التي قال بها ، فإن هذا الاختلاف من طبيعة الفلسفة والتفلسف ، وإن كان أكثرهم لا يعلمون . لقد أدى الدكتور مدكور دورًا، ودورًا بارزًا في مجال حياتنا الفكرية والثقافية . ومن حقنا أن نفخر بالدور الذي أدّاه ، ومن واجبنا أن نعدد مآثره وأفضاله . ويكفي أنه كان أستاذًا في عالم كثر فيه أشباه الأساتذة ، وكان غاية في النشاط في عالم كثر فيه الكسالى من أفراد البشر ، وكان مدافعًا دومًا عن لغتنا العربية الفصحى ، وعن العديد من القيم النبيلة الخلاقة السامية .

عاطف العراقي

الأستاذ المتفرغ للفلسفة بكلية الآداب

بجامعة القاهرة والخبير بالمجمع

كلمة كلية دار العلوم

للأستاذ الدكتور حامد طاهر

السيد الأستاذ الدكتور شـــوقي ضيـــف
نائب رئيس مجمع اللغة العربية:
السيد الأستاذ إبراهيم الترزي ، الأمـــين العام للمجمع :
السادة أعضاء المجمع الموقر:
أسرة الراحل الكريم:

يشرفني غاية التشريف أن أتحـــدث إليكم باسم كلية دار العلوم ، التي تخـرج فيها إبراهيم مدكور١٩٢٧م والتي ترتبط بمجمع اللغة العربية بأواصر قوية ، منـــذ طرح حفني ناصف - وهو من أعـلام دار العلوم - فكرة هذا المجمع العظيم ، والـتي مازال أساتذتها وعلماؤها يسهمون حـتى اليوم في أعمال هذا المجمـــع ، وإنتاجـــه المعترف به .

أحدثكم باسم هذه الكلية العريقـــة التي يصل عمرها في العام القادم إلى قـرن وربع ، وهي تحمل رسالة اللغة العربيـــة: درسًا وتعليمًا ، وتجلو التراث الإســلامي تحقيقًا وتعريفًا . ويتخرج فيها كل عـــام أعداد مؤهلة ، لا يقتصر دورهـــا علـــى حركة التعليم في مصر وحدها ، وإنما يمتد إلى كل أنحاء الوطن العربي ، والعـالم الإسلامي .

كان إبراهيم مدكور واحـــدًا مـــن خريجي دار العلوم ، الذين نهلـــوا مـــن علومها ، وأفادوا من منهجها ، وتشبَّعوا بروحها ورسالتها .. وعندما ســـافر إلى فرنسا ليكمل دراساته العليا، تلقته جامعة السوربون وهو إنسان مكتمل الشخصية، ناضج الفكر ، متمكن من معرفة الـتراث العربي لغةً وثقافة ، فما كان منـها إلا أن صقلت عقليته ، ووسَّـــعت آفاقـــها ، وأعطته لمستها السحرية التي أخرجته من نطاق المحلية إلى نطاق العالمية .

في جامعة السوربون - وقد كـان لي شرف الدراسة بها - ينظرون إلى الطالب العربي الوافد إليهم نظـــرة فاحصـــة ثم يبدؤون في التعامل معه على أساســـها : فليس كلُّ من يذهب إلى هنـــاك يعتـــبر طالبًا، وإنما المتميز يعد رميلاً للأسـلتذة ، ويصبح - مع الوقت - صديقًا لهم . وهذا ما حدث مع إبراهيم مدكـــور الـــذي وجدوا فيه أستاذًا مصريًّا يرغب في صقل

معارفه ، ويعمل على استكمالِ أدواتـــه العلمية ، ولا أقول اكتسابها .

رحل إبراهيم مدكور إلى فرنسا،وهو على معرفة واعية بكلِ جوانب الـــتراث العربي والإسلامي ، وذلك بفضيـــلِ مـــا زوّدته به دار العلوم التي تـــدرّس اللغـــة العربية : نحوًا وصرفًا ومعجمًـا ، والأدب العربي : نصوصًا وتاريخًا ونقدًا ،والشريعة الإسلامية : تفســـيرًا وحديثًـــا وفقـــهًا وأصولَ فقهٍ، والفلسفة الإسلامية : منطقًا وتصوفًا وأخلاقًا وعلمَ كلام، والتـــاريخ الإسلامي : أحداثًا متسلسلة وحضارة .

لذلك فإن جامعة السوربون لم تكن مهمتها مع مدكور مستحيلة أو صعبـــة ، وإنما كانت في غاية اليسر والســـهولة ، مجرد لمسة في المنـــهج ، مجـــرد دقـــة في الأسلوب، ثم بعد هذا وذاك تلك النظـــرة الشاملة لحركة الفكر في العـــالم كلـــه ، واعتبار الإنسانية كُلاً متكاملاً ، يتنـــوع في الثقافات ولكنه يتّحد في الغايات .

وعاد مدكور من فرنســـا ليشـــتغل بالعمل السياسي ، وقد يندهش بعضنـــا لذلك ، ولكنني أفهمه جيدًا من واقـــع معايشتي للتجربة الفرنسية : فهي تؤكـــد في أعماق المثقف أن مهمته لا تقتصـــر على التعليم داخل فصل أو مدرج ، وإنما تتسع لتشمل كـــل إنســـان يعيـــش في المجتمع، وكل قضية تثار فيـــه .. ولقـــد رسخ في أذهاننا لفترة أن المثقف إنســـان مترفّع عن حياة الناس اليومية ، يعيـــش في برج عاجي .. وتلك أسطورة فارغـــة ؛ فالمثقف واحد من الناس ، لابد أن يعيش عصره ، وأن يكافح فيـــه مـــن أجـــل الأفضل.

تلك هي بعـــض اللمســـات الـــتي اكتسبها مدكور من الســـوربون ومـــن فرنسا عمومًا ، أضيفت إلى بناء متكـــامل من دار العلوم ، فخرج مزيج متمـــيز ؛ عرف منذ اللحظة الأولى طريقه ، وتأكّد من قدراته ، ثم سار على الدرب منتجًـــا في كل الاتجاهـــات ، وتحـــت مختلـــف الظروف.

شارك في التحقيق ، وشجّع علـــي الترجمة ، وعمل بالتأليف، وتلك هـــي الدوائر المتداخلة الـــتي مازلنـــا- مـــع الأسف- نفصل إحداها عن الأخرى .

كتب الفلسفة لطـــلاب المـــدارس الثانوية (وكمـــا قيـــل بحـــق مـــازال كتابه متفرداً لم يتجاوزه غـــيره حـــتى اليوم) وكتـــب الفلســـفة الإســـلامية

لطـــلاب الدراســـات العليـــا ، مبينًـــا لهم المنهج ، وواضعًـــا أيديَـــهم علـــى تطبيقاته .

وكان مجمعكم الموقر مجالاً رحبًـــا تفتحت فيه إمكانيات مدكور الثقافيـــة الضخمة .. فأشرف على صنع المعاجم ، وتراجم الأعلام، وهي اللبنات الأساســية لأي بناء ثقافي وتعليمي ، ولا أريـــد أن أقول: إنه تأثر في هذا المجـــال بديـــدرو وأصحاب الموسوعة الفرنسية ولكنـــني أقول: إن عظماء الرجال في كل مجتمـــع يتشابهون ؛ لأنهم يعرفون دائمًا مواطـــن الضعف والقوة ، ويميزون دائمًـــا بـــين الصحيح والزائف .

ليس صحيحًا أن العمـــل الإداري يفسد الجـــانب العلمـــي في الإنســـان، وخاصة إذا كان هذا الإنســـان ظـــاهرة متميزة مثل مدكور .. فالعقل العلمـــي لا يحب الفوضى ، ويسعى دائمًا إلى تحقيـــق النظام، كما يـــهدف إلى الاكتمـــال في الأداء والنتائج .. ولقد شهد مجمع اللغـــة العربية في عهد مدكور الكثير من ذلك ، وإن كانت الظروف أحيانًا غير مواتيـــة ، وأدوات العمل في أحيان أخـــرى غـــير مناسبة تمامًا .

ولم يكن مدكور من هواة الإعـــلام بالمعنى السَّـــيِّئ للكلمة ؛ فلم يكن يعلـــن عما يفعل ولا يهتم بالإخبار عنه، تاركًـــا للناس حرية الحكم بأنفسهم عليه بعد أن يكتمل .. وتلك إحدى الخصائص الـــتي ترسخها كلية دار العلـــوم في أبنائـــها وخريجيها .

ولم يكن مدكور يكتب بالعربية الفصحى كلامًا متهافتًا أو سقيمًا وإنمـــا في كـــل جملة، بل في كل لفظة ، هـــو نمـــوذج للمدقق الذي يُجهد نفسه لاختيار الأدق والأوضح . إنني لا أتصـــور باحثًـــا في التراث العربي لا يجيد قواعـــد النحـــو والبلاغة التي بها تتقوّم العبارة ، ويتضـــح المفهوم ، ولا يمكن للنصوص القديمـــة أن تفهم فهمًا صحيحًا إلا على أساســـها .. وقد تربَّى مدكور في كلية دار العلـــوم على هذه الأسس والقواعـــد ، وظـــل ملتزمًا بها.

في خلال يومين متتاليين يقام لمدكور ثلاث حفلات تأبين ، وهـــذا يعـــني أن شجرته الوارفة قـــد امتـــدت أغصانهـــا وفروعها على جهات كثيرة ومتعددة .

وقد يقال إن دار العلوم وهي كليتـــه الأم لم تقم حفل تأبين له ، ولكنني أعـــد

أمامكم أن نخصص له احتفالية علميـــة متكاملة ، تجري فيها دراسة أعمالـــه ، وتقييم دوره الفكري الكبير ، ويشـــترك فيها جميع المعترفين بجهوده ، وإن شـــاء الله، يكون لمجمعكم الموقر دور مـــهم في تلك الاحتفالية .

وقبل أن أنهي كلمتي أذكر ملمحين مـــن ملامح شخصية الدكتور مدكور : أمـــا الملمح الأول فشخصي . وهو إنصـــاف طلاب الفلسفة حين كانوا يتعرضـــون لظلم أو تعصب : ومن ذلك أني رُشِّحت في عام ١٩٧٤م لبعثـــة حكوميـــة إلى فرنسا، وإلى جامعـــة الســـوربون ، في تخصص الدكتور مدكور نفسه، وكـــلنت البعثـــة تابعـــة لكليـــة الآداب بجامعـــة الإسكندرية وتعصـــب ضـــدي أحـــد الأساتذة هناك ، وكان حينئـــذ رئيسًـــا للقسم، فرفض أن أخرج في هذه البعثـــة، مع أنني كنت المرشـــح الوحيـــد لهـــا، والسبب في رأيه أنني من خريجي دار العلوم، ولست من آداب الإســـكندرية، وتوجهت دون سابق معرفة شـخصية إلى الدكتور مدكور، فقـــابلني بترحـــاب، وكتب لي خطة البعثة التي وافقت عليـــها على الفور إدارةُ البعثات . وعندما عدت من البعثة بعد سبع سنوات كان أول مـــا فكرت فيه زيارته في مكتبـــه بـــالمجمع ، وظل الرجل يسألني عما حدث لي بجامعة السوربون ، ويستفســـر عـــن زملائـــه وأصدقائه .. وأهم ما في هذا الملمح هـــو كراهيته الشديدة للتعصب وضيق الأفق .

أما الملمح الثاني ، فهو ذو طابع عام. فحين ثارت زوبعة غوغائية ضد نشـــر كتاب" الفتوحات المكية " لمحيي الدين بن عربي، وكاد الأمر ينتـــهي إلى وقـــف الكتاب بقرار واجب التنفيـــذ ، انـــبرى مدكور للـــرد علـــى تلـــك الحملـــة ، فأسكتها، وانتصر بقوة منطقه ، وصراحة حججه على الغوغائية .

والآن يمكننا أن نتساءل : هل قضى تمامًا على التعصب والغوغائية ؟

لقد رحل عنا مدكور ، ولكنه تـــرك من المبادئ ما إن تمسكنا به ، فقد يمكننـــا أن نقضي عليها .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه خـــير الجزاء عما قدم للفكر الإسلامي واللغـــة العربية من خدمات . والسلام عليكـــم ورحمة الله وبركاته .

حامد طاهر

عميد كلية دار العلوم والخبير بالمجمع

إبراهيم مدكور والفلسفة

للأستاذة الدكتورة زينب محمود الخضيري

عندما لبَّى شيخ الأجيال أستاذي الدكتور إبراهيم مدكور ، الذي انعقدت له رئاسة كل المجالات التي شارك فيها ، وكُتِبَتْ له الريادة طوال حياته - عندما لبى نداء ربه في الخامس من ديسمبر من العام المنصرم، لم يغب عنا إلا بجسده ، إذ ظل وسيظل على الدوام حاضرًا حضوراً لا يبارى بيننا ، بفضل سخاء عطائه ، وبسمو قيمه ، وبعمق إنسانيته . وسيظل أستاذي صفحة ناصعة مشرقة من تاريخ مصر الثقافي والسياسي، وهو الذي نجح في رفع رأسها عاليا في كل أنحاء المعمورة التي دعته فطار إليها؛ ليصول ويجول في محافلها العلمية بقدرته الفذة على النفاذ إلى دقائق الأمور وأسس القضايا ، مُعَبِّرًا بصوته القوي الهادئ الحبيب عن الحقيقة، والحق، والرؤية المتطلعة إلى غد أجمل تتحقق فيه كل القيم الإنسانية الرفيعة التي عشقها.

جعل من العمل المتقن المتطور دستوراً لحياته، سواء في طلبه للعلم، أو في إنتاجه له ، أو في " إدارته " المتميزة للمشاريع العلمية الضخمة في عدة مجالات، وعلى رأسها بالطبع ما يتعلق باللغة العربية . ولأن الله يحب العبد الذي يتقن عمله ، أحب الله أستاذنا ففتح له أبواب النجاح والمجد على مصراعيها . ولعل أكثرنا يعرف أنه كان ثاني مصري يحصل على الدكتوراه في الفلسفة، وذلك عام ١٩٣٤م إذ كان الأول هو الشيخ الإمام مصطفى عبد الرازق . ولقد بدأ أستاذي حياته الأكاديمية برسالتيه اللتين تقدَّم بهما لجامعة السوربون بباريس، وقد أصبحتا دراستين كلاسيكيتين، لا غنى عنهما لأي باحث في الفلسفة الإسلامية حتى يومنا هذا، ونعني بهما " مكانة الفارابي في المدرسة الفلسفية الإسلامية " و " جانون أرسطو في العالم العربي" . ويُهِر بهما أساتذته الذين أدركوا أن هذا الوافد الشاب الموهوب حاد الذكاء، عظيم الجلد ، بالغ الحماس، قد أصبح زميلاً لهم ، وأن المستقبل له؛ لأنه هو صاحب الفكر الذي يدرسه في حين أنهم أغراب عنه . قدَّم له المستشرق العالمي

لويس ماسينيون أعظم مستشرقي القرن العشرين، الذي أصبح عضوًا في هذا المجمع الجليل ، والذي رأس أستاذُنا - منذ عدة سنوات - احتفالاً بالذكرى المئوية لميلاده، قدَّم لرسالته الأولى بقوله: إن من سيصبح شيخ الفلسفة الإسلامية قد نجح - بفضل جمعه بين التكوين اللغوي والعقائدي الذي حصل عليه في دار العلوم بالقاهرة، وبين إتقانه للمناهج الغربية الحديثة التي تعلمها في باريس - في أن يتجاوز في دراسته التأريخ إلى التفلسف .

وإذا كانت السياسة قد شغلته فترة لأن واجبه الوطني كان يفرض عليه ذلك؛ فإنه لم يستطع البعد طويلا عن ذلك المجال الذي عشقه وكرَّس له حياته كلها وأعنى به خدمة اللغة العربية . ومنذ أن اختير عضوًا في مجمع اللغة العربية ، وحتى قبل أن يصبح رئيسًا له على أثر وفاة عميد الأدب العربي عام ١٩٧٣م وهذا المجمع داره . ولقد كان يستخدم كلمة " البيت" للدلالة عليه فيقول : "فلان من البيت هنا " أو " البيت يحتاج لكذا " . وليس بغريب أن يعنى الفيلسوف باللغة كل هذه العناية ، فاللغة وعاء الفكر والألفاظ حاملة للمفاهيم . ولابد أن ذلك المصري المهموم بمشاكل بلاده ومصيرها ، الموسوعي الثقافة، كان يدرك أن الموسوعة التي أشرف عليها الفيلسوف الفرنسي "ديدرو " ساهمت مساهمة كبيرة في صياغة فكر الفرنسيين الإصلاحي قبيل الثورة الفرنسية؛ فنهضوا يصلحون أحوال بلادهم ؛فأراد أستاذنا أن ينهج نفس النهج . وببصيرته الشهيرة التي عرفها كل من اتصل به صاغ مشروعًا ضخمًا للنهوض باللغة العربية، عمادُه أمران، يصعب التوفيق بينهما عادة، وإن نجح هو في ذلك بيسر: أولهما: المحافظة على تراثنا اللغوي الغالي لأنه جذور وأصول هويتنا .

وثانيهما : تحديث هذا التراث بالانفتاح على ألفاظ كل من الحضارة الحديثة، وأهم أركانها العلم ، والحياة العامة، بهدف مواكبة روح العصر حتى لا تتخلف لغتنا عن سائر اللغات العالمية. ونجح أستاذي مع الفريق الذي عمل معه في ربط لغة القرن العشرين بلغة الجاهلية وصدر الإسلام، وهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ في طريق تطور اللغة ونموها. وأصبح إصدار المعاجم

والقواميس اللغوية في كافة فروع الفكر ، والعلم رسالته التي حشد لهـــا الجـــهود للنهوض بها. ونهج في ذلك المنهج العلمي المعاصر ، الأمر الذي تطلب منه الوقوف عن قرب على جهود كبرى المؤسســات العلمية الغربية، التي اضطلعت بمثل هـــذا العمل وعليه رأســـها مؤسســـة لاروس الفرنسية . ولقد حدثني مراراً عن زيارتـه لتلك الدور وعن استفادته البالغـــة مـــن جراء ذلك .

أستاذي:كم كانت متوهجة على الـدوام رغبتك في التعلم وفي متابعة الجديد مـــن أجل التطور والتقدم ، وكـــم كـــانت تذهلنا – نحن تلاميذك – الذين نســـعى لمحاكاتك في ذلك فنكل، وتستمر أنـــت ثابت الخطى . في هذا المجمـــع كـــوّن أستاذي اللجان من عظام المتخصصـــين، ووزّع المهام ، ونظّم العمل وحصل عليـه وشارك فيه ، وراجعـــه في كثـــير مـــن الأحيان، وقدّم له مبرزا جـــهود فريـــق أصدقائه المؤمنين بالرســـالة . ولعـــل في مقدمة تلك المعاجم " معجـــم ألفـــاظ القرآن الكريم "،و " المعجم الكبـــير " ، و"المعجم الوسيط "،و" المعجم الوجيز ". وكلها صدرت لها عدة طبعات وكلـــها ذائعة الصيت . ولم ينس أستاذي الفلسفة فأصدر في المجلس الأعلى للثقافة، وهو من أعمدته الرئيســـية، " معجـــم العلـــوم الاجتماعية "، والجزء الأول من " معجـم أعلام الفكر الإنساني " فسد بذلك ثغرة مهمة في ثقافتنا العربية . وكـــوّن لجنـــة مازالت تواصل العمل لإصدار " معجـــم المصطلحات الفلسفية العربية ".

وفي عهد أستاذي أصبح هذا المجمـــع معهدًا عالميًّا ذائع الصيت ، يحـــج إليـــه علماء لغتنا من العالم أجمع (فمن بـــين أعضائه بعض الغربيين) مرة كل عـــام ، بمناسبة انعقاد مؤتمره الذي جعله أستاذنا احتفالية علمية ، ينتبه إليـــها حـــتى في أحلك الفترات التي عرفت فيها الثقافـــة العربية نوعًا من الخسوف . الكل يلـــبي نداء أستاذنا، وهو يمني نفســـه بـــالحوار والاستفادة العلميَّين، والتقارب العقلـــي والروحي الحقيقي . ونجح الشيخ الرئيس في أن يتجاوز دائما الخلافات السياســـية بين الدول الشقيقة ، مؤمنًا بأن ما يجمـــع بينها أقوى من كل عثرات عابرة ، وفي أن يجعل زملاءه العرب يستنون سنته، فحقـق الجميع الوحدة الثقافية العربية التي لا يمكن المساس بها ؛ لأنها حقيقة تاريخية، وواقـــع معاش .

وقد ظلّ رئيسًا لاتحاد المجامع العربية حتى وفاته ، ومعه أصبحت مجلة هذا المجمع مجلة عالمية ، وصارت مكتبته مكتبة هائلة، ولقد ضم إليها قبيل وفاته مكتبته الخاصة النادرة . أليس المجمع داره الذي لا يبخل عليه بشيء ؟

في هذه القاعة كم من عضو جديد استقبَلَه مُرَحِّبًا ، وكم من زميل نعاه ذاكرًا فضله، حزينًا على فراقه ، وكم من أبحاث دقيقة ألقى . وفي مكتبه المجاور لهذا المكان كم من علماء من كل أرجاء العالم استقبل بحفاوته الشرقية الشهيرة ، وكم من قضية تبنَّى ، وكم من تلميذ وجَّه وعلَّم ، بفضل الشيخ الرئيس أصبح هذا المجمع الخالد كما هو عليه الآن، وبوجوده فيه وبعلاقاته الشخصية العالمية ذاع صيته في العالم أجمع، حتى أن البعض يطلق على هذا المجمع اسم مجمع مذكور للغة العربية . وإنا لنتظر من المجمع أن يكرم اسم الراحل العزيز بصورة لائقة كأن ينشئ جائزة كبيرة باسمه، وكأن يصدر سلسلة تنسب إليه .

خسارتنا فادحة، هذا لا جدال فيه ، وإن كانت ثقتنا في الله وفي مصر من بعده كبيرة في أن يظهر بيننا خليفة للشيخ الرئيس يتحمل الأمانة كما تحملها، ويخلص كما أخلص ، ويعطي بلا حساب كما أعطى ، ويحب الناس كما فعل فيحبونه .

أبي ومعلمي، لا أقول : وداعًا لأنك معنا في قلوبنا وفي عقولنا ، جزاك الله عنا كل خير .

زينب محمود الخضيري

أستاذة الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة

راهب الفصحى : سلامًا ... لا وداعًا !

للأستاذ الدكتور عفيفي محمود عفيفي

لست أدري كيف واتتني الجرأة على التصدّي لرثاء رجل شارك أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد ، وعميد الأدب العربي طه حسين العمل - جنبًا إلى جنب - في خدمة قضايا الفصحى وعلومها زهاء ربع قرن .. ثم واصل العمل - بعد رحيلهما - ربع قرن آخر ، وبذلك أنفق أكثر من نصف عمره في هذا المجال ... فلو قسمنا الأعوام التي قضاها في خدمة اللغة العربية على حروفها المنطوقة لوجدنا أن كل حرف منها قد استهلك من عمره زهاء عامين .

رجل تصدَّى في بسالة وفروسية لتحقيق كتاب "القانون" لابن سينا بعد مُضي بضعة قرون على تفرق نسخها بين مكتبات العالم شرقيّه وعربيّه .

رجل كان مع العقاد ثانيَ اثنين إذ هما في البرلمان، يناهضان الإقطاع والرأسمالية متمثلين في ملك دخيل مستبد اتخذ من مصر ضيعة ورثها عن آبائه الجراكسة ومن أهلها عبيدًا وإماءً .. وكان جزاء إبراهيم مذكور على مواقفه حرمانه مما كان مرشحًا له من أن يكون أول رئيس تحرير مصري لأعرق جريدة عربية هي الأهرام ، وشُطِب اسمه من قائمة المرشحين للاشتراك في الوزارة ... ولم يَدْرِ من فعل ذلك أنه لم يعاقب مذكورًا إنما كافأه ، إذ دعاه أستاذ الجيل رئيس مجمع الخالدين آنذاك - لمشاركته العمل ، فأنزله بذلك منزلة أرفع مما كان ينتظره لو رأس تحرير الجريدة أو تربع على كرسيّ الوزارة .

رجل حقق لمجمع الخالدين - في أثناء رئاسته - من الأهداف أسماها وأغلاها ، بالتوسع في الاستعانة بخبراء العلوم الطبيعية بمختلف فروعها ، وإصدار بعض معاجمها ومعجم ألفاظ الحضارة .. وغير ذلك مما لم تكن أحلام شاعر النيل حافظ إبراهيم تتطاول إليه. ولعل روحه الآن قد هدأت في برزخها بعد ما لحقت بها روح إبراهيم مذكور، وأفضت إليها بما حققه سدنة الفصحى لها من الآمال الغالية .

هذه هي بعض الخواطر التي كانت تحوّم في أفق خيالي وأنا أنسج خيوط

مرثيتي في فقيدنا الكبير .. هاتفًا به:

راهب الفصحى سلامًا، لا وداعًا!

ما كنت أحسبُ أن يكون رثائي
في "سيبويهِ" كنانة الفُصحاءِ
واللهُ يشهدُ: ما القريض صناعتي
وأنا الرَّديفُ بموكبِ البلغاءِ
لكنَّه الإخلاصُ أنطقني وَطَوَّ
(م)عَ لي قوافي الشعر فيضُ وفائي
كغمامة الصحراء تعصِرُ نفسَها
لتردَّ لليَنبوعِ .. قطرةَ ماءِ
سبحان من خلق البيانَ وعلَّم الـ
إنسانَ - آدمَ - سائرَ الأسماءِ
وقضَتْ مشيئتُهُ اختلافَ لغاتِ مَنْ
بَدَؤوا لسانًا واحدًا بأداءِ
واختصَّ بالفصحى سُلالَةَ يَعْرُب
واختار للتنزيل خيرَ وعاءِ
واللفظ للمعنى وعاءٌ يحتوي
هِ كضفَّتَي نهرٍ لمسرى الماءِ
لعةٌ بها القرآنُ أُنزِل فازدهت
بحُروفِها .. من همزةٍ للياءِ
لكنْ أتى حِينٌ عليها كُبِّلَتْ
بقيودِ حُكَّامٍ مِنَ الدُّخَلاءِ
في أهلِها ذاقَتْ - وفي أوطانِها -
ذُلَّ اليتيمِ ووحشةَ الغرباءِ

عاشت رهينةَ محبِسَيْنِ وخُوصِرتْ
في مصحفٍ، وقصيدةٍ عصماءِ
ظلَّت تُحدِّث نفسَها عن نفسِها
وبذاك أخبر شاعرُ البؤسَاءِ(*)
يا شاعرَ النيل اطمئِنَّ .. فما حَلُمْـ
ـتَ به تحقق فوق كلِّ رجاءِ
كم كنتَ تندُبُ حظَّها بلسانِها
وتخصُّ غفلةَ أهلِها برثاءِ
فُصْحَاكَ ما عادتْ رَهينةَ مُعْجَمٍ
أو حِلْيةً في دفترِ الإنشاءِ
لغةُ العروبةِ مزَّقت أكفانَها
ومضت تشقُّ طريقَها بإباءِ
وغزَتْ بألفاظِ الحضارةِ عالَمَ الـ
تصنيعِ .. بعد الطبِّ والكيمياءِ
وغدًا تُحدِّثُنا عن الأقمارِ فُصْـ
ـحانا وقدْ رَكِبَتْ سفينَ فضاءِ
لو طالَ عُمرُكَ أربعًا لرقصْتَ في
يومِ انطلاقِ أميرةِ السُّجَناءِ
وشهدْتَ مصرعَ من أرادوا وأدَها
وهي التي بقيت مع الأحياءِ
ورأيتَها تختالُ يومَ زفافِها
وتجرُّ ثوبَ العُرْسِ في خُيَلاءِ
والتَّاجُ يَسْطَعُ فوق مَفْرِقِها بيتٌ
ضِياءَها في سائرِ الأرجاءِ

---

* شاعر النوساء اللقب الثاني لشاعر النيل حافظ إبراهيم ، وله قصيدة معروفة عنوانها :" اللغة العربية تندب حظها ".

فاليومَ أُسِّسَ معبدُ الفُصْحَى فصا ... ونَبَذْتَ كُرْسِيَّ الورارة كَي تُجَا

رَتْ مصرُ - حقًّا - كعبةَ الفُصَحَاءِ ... هِدَ تَحتَ قــبَّةِ منبرِ الشُّــرَفَاءِ

ولقد أراد اللهُ فكَّ حِصَارِها ... ولقد حَباك اللهُ خيرًا مِنْهُمَا

لما التــقى الأدبــاءُ .. بالعلماءِ ... في معبدِ الفصحى كريمَ لقــاءِ

* * * ... لَبَّيْتَ - لــمَّا أنْ دُعِيتَ - مُشَارِكًا

ومضى شريطُ الذكرياتِ يُصوِّر الــ ... أســتاذَ حِيلِ النُّبْلِ - والنُّبلاَءِ(٣)

أحــداثَ - بعد فواتِها - بِجَلاءِ ... حتَّى دعاهُ اللهُ .. وانتقلَ اللّوا

فإذا بِمصرَ سفينةٌ تَهتزُّ في ... ءُ لِذي البَصَائِر .. قاهرِ الظُّلَمَاءِ(٤)

بحرِ السِّــياسةِ غاضــبِ الأنواءِ ... قد كنتَ يُمنَاهُ ، وعينيهِ ، وخَيْــ

فَقَدَتْ هُوِيَّتَها ، وقد آلتْ أمو ... ــمةَ ظِلِّه .. في رحلةِ الصَّحْرَاءِ

رُ الحكــمِ للمحتَلِّ .. والعُمَلاءِ ... في عهدِهِ أخرجت " قانون بن سيــ

يا مَنْ حملْتَ رِسالةَ الفصحى ، وفي ... نا " مصدرَ الدُّسْــتورِ للحُكَمَاءِ

وجهِ الرياحِ رفعــــتَ خيرَ لِواءِ ... وَبِإِثْرِهِ أصبحتَ خيرَ خليفةٍ

في زورقٍ قد شقَّ عارِي صدرِهِ ... لأبِي البيانِ .. وعمدةِ العُمَدَاءِ(٥)

موج النــفاقِ بهــمَّةٍ .. ومَضَاءِ

* * *

قد كنتَ والعقَّادُ بجدافَينِ لم ... يا ربِّ .. قد لبَّى نِدَاكَ إمامُنا

يتوقَّــفا في عاصــفِ الأجواءِ ... فاجْعــلْ ثراهُ منازلَ الشُّــهدَاءِ

في وجهِ طاغيةِ البلادِ (١) رميت قفَّــ ... واحْفظْ لقافلةِ البيانِ مَسَارَها

ــاز التَّحدِي .. في كريمِ إباءِ ... فالرَّكْبُ لا يمــضِي بغيرِ حُدَاءِ

فحُرمت تحرير الجريدة (٢) حشيةً ... مِصْرُ العروبةِ لم تَزَلْ ولاَّدةً . .

مِنْ أَنْ تُعــرِّيَ سَــوأةَ الجُهَلاَءِ ... والنيــلُ لم ينــفكَّ نهــرَ عَطَاءِ

(١) الملك فاروق .

(٢) جريدة الأهرام ، وكان الفقيد قد رُشِّح لرئاسة تحريرها ، فاستبعد أعوان الملك اسمه عقابًا له على مواقفه المعارضة للملك في مجلس النواب ، وتحسُّبًا لما قد يبشره عن فضائح العرش

(٣) أستاذ الجليل أحمد لطفي السيد أحد مؤسسي الجامعة المصرية ، وأول رئيس لها ، وثاني رئيس لمجمع اللغة العربية

(٤ ، ٥) عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذي لم يمنعه فقد بصره من تنوير عصره

فأَعِنْ حليفتَهُ على اسْتِكمالِ ما ... حتى أقاما رابعَ الأهرامِ في

بدآهُ مِنْ غَـــرسٍ وَمِن إِنشـــاءِ ... أرضِ الخُلودِ ومنجَمِ العُظَـــمَاءِ

رفَعَا القواعدَ من أساسِ البيتِ في ... فامدُدْ بفضلِكَ - ربَّنا - آحالنا

دأب على الترســـيخِ والإعلاءِ ... حتى نُـــبايعَ رابـــعَ الخـــــلفاءِ

عفيفي محمود عفيفي

الأستاذ المتفرغ بكلية العلوم

بجامعة المنصورة والخبير بالمجمع

كلمة الأسرة

للأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق إبراهيم مدكور

السيد الأستاذ الدكتور نـــائب رئيـــس المجمع :

السادة المفكرون، والعلماء ، والأســاتذة الأجلاء :

سيداتي وسادتي :

نيابة عن أسرة الفقيد الغالي أتقـــدم بكلمات شكر وامتنان وتقدير ليس لهـــا أن تفي حق ما لمسناه من وفاء وإشادة.

والشكر ابتداءً للبيت الأكبر: مجمع اللغـة العربية وللقائمين عليه .

والشكر أساسًا لمحدثينا الأفـــاضل مـــن زملائه الخالدين، أو تلاميـــذه ومريديـــه النابهين .

والشكر ختامًا لضيوف كرام شـــاركونا في ظاهرة الوفاء هذه .

أما بعد

فلعل في الكثير الغزير مما سمعـــت عـــن مدكـــور العـــالم، ومدكـــور المفكـــر الفيلسوف، ومدكـــور رجـــل الإدارة، ومدكور رجل الدولة، بـــل ومدكـــور "صانع الحياة"،ما يثير في نفسي من تطابق مع فيض من الذكـــريات حول مدكور الأب الإنسان تطابق ما بين : الشيخ الرئيس، والقدوة الحنون.

ما بين - رجل الدولة ورب البيـــت، وما بين - عمق ورزانة العـــالم المفكـــر، والأب المتباسط المتسامح المتفهم دائمًا .

وفي هذا المقام وفيما سمعتـــه اليـــوم ويوم أمس من أصدق وأوفى الكلم، بـــل وأعطره، ما يدكرني بدعابة للوالد سارت لنا ذكرى ومثلاً شائعًا بين العائلة .

أسوقها لسيادتكم كتعبير عما جـــاش في نفسي من مقابلة بين ما عايشتموه، ومـــا عايشناه نحن من شموخ وحضـــور مـــع التبسط.

ويقيني بأن الفقيد في حكمته ما كـــان ليترك هذا التجمع يمـــر دون أن تخـــالج العبرات بسمة ولو بهتاء .

ففي صباح مبكر وكنت -بعـــدُ- تلميذًا في المرحلة الابتدائية وأستعد مـــع الوالد لركوب ســـيارته، وأهـــل (أبـــو النمرس) والدائـــرة يتكـــاثرون حولـــه كالعادة؛ للحصول على " كارت مـــن الدكتور" فإذا بأحدهم ويدعى " نعناع "

يطلب أحد المطالب غير المنطقية ، ومـــا أكثرها! مدعمًا قوله بحجج هي مريج من اللعط والهراء .

فكان للوالد، قوله المأثور لدينا :" الكـــلام ده ملوش ريحة يا نعناع " !

وإن كان لي أن أسجل بعضًا يسيرًا مـــن فيض هائل مما عايشته اليوم وأمس فلعلي أصطفي :

- نعتًا

- وموقفًا

أما النعت فهو الإشادة بما كان يمتاز بـــه مذكور من حيث " موضوعيته الهادئـــة " حيث إنها – في يقيني – أبرز صفاته على الإطلاق .

فقد كان موضوعيًا في كـــل حوانـــب حياته.

وكان هادئًا في تعامله مع أصعب المواقف وأشدها تأثيرًا .

أما الموقف فهو لشاب في العشـــرين من عمره، لم أقابله إلا قبل أمس في إطار إحيائنا للذكرى الأربعينية لوفاة الوالـــد بالمنـــزل . وهو طالب بقسم الفلســـفة بكلية الآداب بجامعـــة الإســـكندرية ، حصر حصيصًا، بل مكث ليكون بيننـــا اليوم.

إذ أحد يسأل بتحفز واضح عن مدى وفاء تلاميذ الأمـــس: أســـاتذة اليـــوم، لذكرى الشيخ الرئيس !

ولعل فيمن يشرفوننا اليوم من حضـــور يمتدون عبر أجيال ثلاثة ليغطوا قـــــرنًا كاملاً وفيما تفضلوا به من ثـــاء نـــثرًا وشعرًا أفضل ردٍّ على سؤالك يـــا مـــن قابلتَ فقيدنا مرة واحدة، ولمدة دقيقـــة فقط .

بارك الله فيكم جميعا .

فلكم منا – آل مذكور – أصدق الشـــكر وأعمق التقدير .

وفقكم الله ورعاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد إبراهيم مذكور